

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نحو العدد ٢٠ ملياً

الاعتمادات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة لاجتماعية للفكر والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها السئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — مابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٦٩٢ « القاهرة في يوم الاثنين ١٢ ذو القعدة سنة ١٣٦٥ — ١٧ أكتوبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

بين جيلين ...!

للأستاذ محمود محمد شاكر

—

انتفض شعر النبي فرمى إلى بهذين البيتين ، وهما على بساطة لفظهما كالجبلين الشامخين في تاريخ الحياة الإنسانية :

سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوَعَاشَ أَهْلُهَا مُنْعَمًا بِهَا مِنْ جَنَّةٍ وَذُهِبَ تَمْلِكُهَا الْآتَى تَمْلِكُكَ سَالِبٌ وَفَارَقَهَا الْمَاضِي فِرَاقَ سَلِيمٍ

أفليس لملك الموت من عملٍ إلا إخلاء الطريق للقادم ، حتى يتاح له أن يندو ويروح في الأرض التي ورثها عن السابق القاني الذي مهد له بمواطنه سبيل الحياة !! ولعل ملك الموت يحار أحياناً حيرة تدبر رأسه في الأمر الذي حل أوزاره ، وكلّف بقضائه ، ولمسه يرى أحياناً أنه يزيل خيراً كثيراً ليخلّفه شرّاً كثيراً ، فهو يتردد تردّد المتحسر على ذاهب هو أولى بالبقاء من قادم ، ولكنه يقضى قضاءه الذي لا يجد عنه مندوحة ولا هرباً ؛ وهو ككل صاحب صناعة قد ألغىها ودرّب عليها ولا يجيد سواها ؛ فهو يعيش بها على الرضى وعلى السخط ، وعلى الفقر والغنى ، وعلى الفتور والنشاط ؛ وهو كسائر الخلق ميسّر لما خلق له ، ولو ترك له أن يختار لاختار قديماً كثيراً

على جديد كثير ، ولا تترك ناساً على ناس وحياة على حياة . ولقد أرتى أحياناً لهذا الخلق البائس الذي يسره الله لصناعة الإفناء والإهلاك ، فإنه ولا ريب يرى ما لا يرى ويحس ما لا يحس ، وربما كلّف أن يقبض الروح من زهرة ناضرة لم تكد تستقبل الحياة . فهو يذوب لها رقة وحناناً لما سوف تتجرّعه من غصصه وسكراته وحشرجته ومكارهه ، فكيف يقسو على من هو بالرحمة أولى ، وبالبقاء أخلق من أخرى لم يبق فيها العمر المتقادم إلا الأعواد والأشواك والجذور التي ضربت فيها الآفات ، وبرم بها البلى من طول عمر اغتمها له على العيش !

وكيف يفعل هذا البائس حين يعلم أنه قد دنا أجل عقل عبقرى لم يتم عمله لخير هذه الحياة الإنسانية ، فهو مأمور أن يطفىء نوره ليخلّفه عقل دجوى لا يأتي إلا بالسواد والإظلام ؟ أترى أنامله ترتجف من الإشفاق والحنن والبُقية على هذا السراج الذي أمر أن يقطع عنه أسباب الحياة ؟ أم تراه يفعل ذلك وهو مسلوب العقل والإرادة والإحساس كأنه قائد من رجال الحرب الحديثة ، لا عقل له إلا الحرب ، ولا إرادة له إلا الحرب ، ولا إحساس له إلا الحرب ، فهو كله حرب على الجنس البشرى يشبه وولداً ورجاله ونسائه ، لا يرحم صغيراً ، ولا يوقر كبيراً ، ولا يشفق على أم ولا ذات جنين ! أم تراه يعلم ما لا تعلم من خبء هذه الحياة الدنيا ، وأن جليلها الذي نجله ونوقره ، هو

عن هذه الدنيا أن يدلف إلى الغاية ، وقد أفضى عن نفسه أحبَّ أشياءها إليه فهو يؤثر الزُّهد والإيثار وسعة العقل وقلة البِلااة في كبير الأمر وصغيره ، وكذلك الشيخ . فإذا الآتى متمسكاً سالب ، وإذا الماضي مفارق سليم .

فهذا هو تاريخ الصراع بين أجيال الناس كلهم ، والأمم جميعها ، والآراء بأسرها ، والمذاهب برُممتها ؛ إلى آخر هذا الحشد الحاشد مما يقع عليه الخلاف في هذه الحياة الدنيا ، وليس يكون فيها شيء إلا كان مظنةً للخلاف . وهذا الصراع المُفنى هو نفسه سرُّ القوة المحيية ، وهذا الجهاد المتواصل في طلب الغلبة والظهور ، والنصر بين السالب والمسلوب ، هو الحياة . وهذا العناء الشديد الذى يلقاه الشباب حين يحتدم الصدام بينهم وبين أهل السن من قدماء الأحياء هو تكلمة الإنسان الجديد الذى يريد أن يتملك مواطنه أقدام الإنسان القديم الذى كتب عليه أن يرحل ويُفسح الطريق لمن هو أولى منه بالبش وعلية أقدر .

وقديماً قال القائل :

لكلٍّ جديد لذةٌ ، غير أننى وجدتَ جديد الموت غير لذيد
فيأتى الآتى إلى جديد الحياة ، فإذا هو بها مشعوف لميف ،
وإذا هو نفسه جديد ، فهو معجبٌ بجديد نفسه ماخر من قديم
غيره ؛ وإذا سرُّ كل « آت » هو جدته الموقورة ، وسرُّ الضعف في كل « ماض » هو جدته البالية . ولجديد نحوه ونشوة وإرباب على القديم ، وفي القديم هبة وذبول وتقدير عن الجديد ، والصراع بين القديم والجديد هو صراع على الحياة وعلى البقاء وعلى الخلود ، ولذلك لم يخلُ وجه الأرض قط من زوال دام مفزع بشع بين هذين الجبارين : الجبار الآتى الذى يريد أن يستأثر بالحياة ، والجبار الراحل الذى يلتبس لجبروته الخلود . ولا تزال الدنيا دنيا ما اصطرع هذان الجباران ، فإذا سكن ما بينهما فقد انطقت يومئذ جرة الحياة ، ولم يبق إلا رمادها .

ونحن اليوم أحوج ما كنا إلى حدة الصراع بين الجبارين : جبار الشباب وجبار الهرم ، لأن الحياة التى حولنا تريدنا على ذلك ، إذا أغفلنا مطالب الحياة الإنسانية نفسها ، والتى لا بقاء

أولى الشيتين بالمهانة والتحقير ، وأن الحقير الذى تُزدرىه كان أولاهما بالتهجئة والتوقير ؟ فهو إذن يؤدى عمله راضياً عن نفسه وعما يعمل ، لا ترهبه الرحمة لما لا يستحق رحمة ، ولا يُعسك يده الإشفاق عما لا يستأهل إلا الإرهاق والتمذيب . وكأننا نحن إنما نحبُّ ونبغض ونرضى ونكره على قدر إدراكنا وما بلغ ، لا على منطق الحياة المتطاولة الآماد والآباد ، فنزى الأشياء متصلة بمسالحنا ومنافعنا ، ومحصورة في حاجات أنفسنا وآمال قلوبنا ، لا متمسكة ممتدة في كهوف الأمس السحيق ، وسرايب الند العميق .

فلو أن هذا الملك كان ميسراً لإدراك الحياة ومعانيها بمثل العقل الذى نذكرها نحن به ، وكان كمثلنا في تقدير الأقدار على قياس الحاجات والآمال الراحنة معجوباً عن الغيب الذى لا يعلمه إلا الله ، لرايناه يحرص أحياناً على أن يُبقى على بعضنا ويمجّل أحياناً في القضاء على بعض آخر نظنُّ ، ويظنُّ معنا ، أنه لاعمى لبقائه في هذه الدنيا ليكون زحاماً من الزحام لا عمل له إلا أن يسوق التقدم ، ويؤثر به المائى ، ويتفدّل من جرائه حدّ الماضي المتعجل ، ولما كان الناس يومئذ يأتون إلى الدنيا ليجدوها مهيّدة من نواحيها لا يلقى لاحقٌ عنكاً من وجود سابق ؛ ولا يصادف إلا طريقاً خالياً لا يضطره إلى جهاد ولا حيلة ولا حذر ، ولا يحمله على النظر والتأمل والمهمة في إصلاح الفاسد والفكر في أسباب الفساد ، وبذلك يتعطل العقل وتقف الإرادة ويستقيم المرء إلى الراحة حين يرضى عن عمل من سبقه من الذين أتى الموت عليهم لأنهم أهلٌ للحياة . وكذلك تنقطع مادة الحياة ، ويتفانى الخلق بالرضى والقناعة كما يتفانون اليوم بالتسخط والطمع . بيد أن موت الرضى والقناعة شرٌّ كله لأنه عقيم لا ينتج ، أماموت التسخط والطمع فهو إلى الخير أقرب ، لأنه يبقى البقية الصالحة التى تستمرُّ بها الحياة متجددة على وجه الدهر .

ومن أجل ذلك قدّر للآتى القادم على الدنيا أن يأتى منذ يولد وفي إهابه حبُّ التملك والتسلط والأثرة والعناد واللجاج في صغير الأمر وكبيره ، وكذلك الطفل . وقدّر للمذاهب الراحل

ومعاذ الله أن يلمّ بي اليأس ويتداخلني القنوط ، فإني لأرى فيهم رجالاً لو هم صرفوا عاماً أو عامين في التأهب لصراع الغد ، أى لصراع الحياة ، أى لإتقان بلادنا من خور الشيوخة ، وجبن الهرم ، وعجز السن ، وضعف الكبير الطاحن ، ومن غرور هذه جيماً بدالف تجربتها واحتنا كها ، لأدركنا البغية التي يظن شيوخنا أنها محال ، وأنها طرفة ، وأنها جراءة وتقجم ، وارتقاء في مهوى الهلاك .

أوليس من أكبر العار في هذا الزمن أن يكون الشرق الذي بلغ بفتيانه قديماً ما بلغ ، هو اليوم مبتلى بفتيانه أشد البلاد ؟ أليس من الخزي أن يعرف أحدنا كيف تعاون شبابنا قديماً وكهولنا وشيوخنا على فتح الدنيا ، فإذا خلفهم بتعاون جميعاً شيوخاً وشباناً وكهولاً على ترك بلادهم وأرضهم لقمة سائفة لكل طامع ، ولجأ ممزقاً بين يدي كل جزّار وإن هان ؟ إن علينا نحن الشباب أن نوقر شيوخنا ونجلّهم ونستفيد من تجاربهم ، وعلينا أن ننازلهم ونصارعهم ، ونأخذ من أيديهم المرتبة ما يستقر في راحاتنا الثابتة التي لا تخاف ولا تهيب . علينا أن نأخذ حقنا أخذ الكريم المقتدر ، من أقران نصارعهم ليوتوا موت الكريم البذل . وعلى هذا الصراع بين جيلينا يتوقف أمر الخير الذي نبغيه ، والاستقلال الذي نجاهد في سبيله ، والعزة التي نسمي إلى اقتحام أهوالها .

وعلى شيوخنا أن يعلموا أنه لا بد لهم من شباب شديد الأسر يشد أزرهم إذا ضعفوا ، ويخلفهم إذا هلكوا . ولكنهم غفلوا زماناً فتركوا النشء ينشأ بين أحضانهم ، فلم يمدّوه ولم يماؤوه ولم يمدّوه لندهم ، وقلبوا آية الحياة وبدّلوا معناها ، فكانوا هم الصبيان حين تخلّفوا بأخلاق الصبيان ، وأصرّوا على حب التملك والتسلط والآثرة والعتاد واللجاج في كبير الأمر وصغيره . هذه الأيام تمضي بنا سراعاً ، فلنقدّر لند ، فإن مستقبل الشرق معقود بنواصي شباب ، فإذا نفّض عن نفسه غبار الكسل والجمانة والنور ، كان إلى النصر أسرع سابع ، وعلى الدنيا الجديدة أكرم وافد .

محمد محمد شاكر

لها إلا على مكاره النزاع والنزال والمساولة . ولكن يخيّل إلى أن جبارنا هذا الشاب لم يعرف بعد أن اتخذ الأهبة للقتال متى لاغنى عنه لمن يريد أن تكون له العزة والفلبية ، وأنه ينازل جباراً سبقه إلى الدنيا فعرّفها وخبرها واستمدّها لها ، وصرف همه إلى درسها وتمحيصها ، وأنه قد بذل في إبان شبابه من جهد التحصيل والاستعداد ، ما غيّل هو عن مثله بين اللهور والبيث والآراء غير المحصنة ، وأخذ الدنيا على أهون وجهيها وأيسرها ، وعلى أن الصدق فيما قاله أسخف قائل : « اضحك يضحك لك العالم » !!

ليس معنى الصراع بين الجديد والقديم : هو أن ينازل أصغر الخصمين وأقلهما تجربة ، أكبرهما وأوفاهما تجربة ، وهو يضرر له في نفسه الإضرار به والتحقير له والاستهانة به وبسابقته في الحياة ، كلا ، بل هو يحرص أشد الحرص على فهم خصمه ، وعلى معرفة حيله ، وعلى درس قوته ومواطن الضعف فيها ، وعلى أساليب معالجته للأشياء التي حازها بالنصر والغلبة على من سبقه . وذلك يقتضيه أن يجعل صدر أيامه وريث شبابيه وفقاً على الدرس والتحصيل وروضة النفس ، وتربية القوى ، وتمهيد نفسه في مراشدها وتجنّبها مغايراتها ، فإذا فعل كان أهلاً لمن ينأزله ، وكان خليقاً أن يكتب له النصر عليه ، ولكن شاء الله أن يسلك جبارنا الشاب أضل الطريقين .

فإذا كانت العقبي ؟ بقينا إلى زمن نرى فيه الشيوخ الذين أكل الدهر جدهم ، وأبلى مهمهم ، وأفنى حوافزهم ، وقطع دابر الحماسة من نفوسهم ، هم الذين يتولون تصريف الأمور في غدنا تصريف العاجز ، ويدرون سياستنا للمستقبل تدير الأهل ، ويسمرون بهذا الشرق كله إلى ردغة موحلة يرتطم في أوحالها الشيب والشبان جميعاً . وإلا فإن الشباب المبشر بالخير المهدى إلى طريق الرشاد ، ليكون لشيوخنا إذا هجزوا عضداً ، وإذا قصروا باعاً ، وإذا سقطوا خلفاً ؟

إني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ، ولكن لأرى أحداً ومعاذ الله أن أكون ممن يخلّي هذه الأمم من رجال شبان يدخل في أطواقهم أن يغيروا وجه هذا الغد الذي نستقبله ،

مقالات في كلمات

للاستاذ علي الطنطاوي

المذهب الرمزي كما أفهمه :

يقف الشاعر على الطريق فتمر به مائة امرأة ، ما فيهن إلا جميلة فتانة تسهوى القلب وتستميل الفؤاد ، وما واحدة منهن تشبه في جمالها الأخرى ، فشكل (جمال) طعم في الذوق ، وأثر في النفس ، ومعنى في الحس . وبسمع مائة صوت ما فيها إلا مطرب يهز ويثير ، ولكن للبيات (طرباً) ليس للرصد ، وفي الصبا ما ليس في الهاوند . ويشم عشر زهرات فلا يجد فيهن إلا طيباً وعطراً ، ولكن أثر الياسمين في النفس غير أثر الورد ، وفي الزنبق ما ليس في البنفسج ؛ وربما رأى المرأة أو سمع النعمة في حال ، فأنارت في نفسه عواطف لا تثيرها في حال أخرى ، فإذا جاء بصور بالألفاظ هذا العالم الزاخر من (الشاعر) والخواطر لم يجد لهذه الآلاف المؤلفات ، من (الشاعر) المختلفة ، والخواطر المتباينة ، إلا ألفاظاً قليلة لا تقوم لهذه الكثرة ، ضيقة لا تتسع لشيء من هذه التفاصيل ، ميتة لا تستطيع أن تجاري هذه القافلة الحية المتوالية من الخواطر والأحلام الإنسانية ...

ويقرأ القصة من القصص ، أو الأبيات من الشعر ، فنقله إلى دنيا أخرى يرى فيها ما لا تراه عيون أكثر الناس ، ويدرك من جمالها وسحرها ما لا تدركه قلوبهم ، فإذا عمد إلى حصر هذه الدنيا في نطاق من الألفاظ تفلتت منه ومضت ، كما يعضى عبق الزهر إذ ينبث في الجو ، وهبط من بعدها إلى أرض الحقيقة الصلدة ، كما هبط آدم من جنته إلى الأرض ...

ويسمع الأغنية الحائلة . تخرج من قلب عاشق مشوق ، فتطفو على وجه النسيم العليل ، في الليل الساجي ، ينادي بها الليل ، والليل مريض لا يجيب ، فهز الأغنية . إذ يسمعها (شاعريته) فتعقظ أنصع نغمارها وأحلامها ؛ فإذا راح يجمعها ليودعها ظروف الألفاظ ، طارت من بين أصابعه كأنها حباب الخمر ، أو خيوط النور ...

وبحسب تأمناً أو مستيقظاً نوجد لهذه الرؤى والأحلام متعة وجلالاً يعلا جوانب نفسه ، ويصل إلى قرارة قلبه ، ويصحو منها ولذتها في حسه ، وأثرها في نفسه ، وبقاياها في ذاكرته ، فإذا أراد أن يضع وصفها على لسانه ، خاتته الألفاظ ساعة الشدة ، وفرت منه ولم تسمعفه ...

فإذا يهتف الشاعر ؟

أيقنع من الشعر بوصف الحالات النفسية الواضحة الدانية ، ويدع كل سامع منها رفيع ، أو غامض معقد ؛ وتصوير مشاهد الطبيعة الجائفة دون أن يفيض عليها أفكاره وأحلامه وذكرياته ؟ إنه إن فعل كان كمن يأخذ الأصداف والديدان من شاطئ البحر يجزئها بها عن كل ما في البحر من لآلئ ، وأسمالك ، فإذا يصنع ؟ فكّر في ذلك ناس من شعراء أوربة قرأوا أن الخصلة من شعر الحبيب ، تذكر الحب بأيام الغرام ، وتلو عليه وهي خرساء . لا تنطق تفاصيل أحداثها حتى كأنه قد رجع إليها ؛ والنشيد الحربي يقص على الجندي الهرم أبناء معاركه التي خاضها ؛ وصورة برج إيفل يعيد للباريسي النازح ذكريات بلده الذي فارقه ، وما خصلة من الشعر وما النشيد وما الصورة ؟ إنها رموز (Symboles) تستدعي في الذهن صوراً وحقائق على طريق (تداعي الأفكار) كما تذكر صورة الكعبة بالحج ، و (جون بول) بانكلترا ، والاهرام بمصر ... فلماذا لا نرمز لكل حالة نفسية غامضة برمز يذكر القارئ بحالة مثلها كان وجدها ، اعتماداً على (تداعي الأفكار) وعلى أن نفوس البشر متشابهات في الجلة في حالاتها الكبرى ؟

وقد حاولوا أن يفعلوا ذلك فنشأ ما ندعوه بالمذهب الرمزي (Symbolisme) ، فليس الشعر عند الرمزيين أن تصف الحبيب بل ما يثير في نفسك الحبيب من عواطف ، ولا أن تصور مشهد الطبيعة بل ما يبعث الشهد فيك من خواطر . وإذا كانت هذه العواطف والخواطر غامضة ، فليكن الشعر غامضاً مثلها ، على أن يثير في السامع أمثالها ، ويحفز له نظائرها . وأول شرط للشعر عندهم هو أن يكون وقعه في الأذن جميلًا بإدعائه ، وأن يكون لألفاظه رنين اللحن الموسيقي . والشرط الثاني هو أن يكون بسامعه ، ويحمله إلى أسنى الحالات النفسية . قال حميد الزبيدي

ف نظرت فإذا أنا ألقى أسماء جديدة لم أسمع بها فطقبل اليوم ،
فلا أحد أمين ، ولا فريد أبو حديد ، ولا أحد زكي ؛ ولكن
صدق إسماعيل (؟) ، وخالد حمد (؟) ، وعمر كركوتلي (؟)
فأنمت النظر فإذا هي (ثقافة) أخرى ، غير (الثقافة) المصرية
المرووفة ، تصدر في (دير الزور) من أعمال الشام ، وإذا أصحابها
قد سرقوا اسم مجلة الثقافة وحجمها وشكل غلافها وترتيبها
حتى ليظن القارئ أنها هي ، مع أنها منها كخريطة مصر بالنسبة
إلى مصر ...

فرددتها إليه ، وقلت له :

ألم تسمع أن المكتوب يقرأ من عنوانه ، فدعني بالله منها
لا أريد أن تنشي نفسي .

قال : لا والله ، إلا أن تقرأ هذا .

وأشار إلى فقرة قرأت فيها ما نصه بحروفه :

« أيها السادة ! المعلن في الأدب العربي من إنتاج العصور
وجامع الفنون يلح خطأ واحداً تنتظم فيه كل الألوان والأغراض
هو خطأ السكون ، والمعلن في الأدب الفرنسي يلح خطأ واحداً
يناقض ما تقدمه هو خطأ الحركة » .

قلت له :

لقد قرأت ، فقل لي ماذا تريد من رجل جاهل بالأدب العربي
وبالأدب الفرنسي^(١) ، ويريد مع ذلك أن يتعلم وأن يتشبه
بالباحثين ؟ أيمكن أن يفتح عليه إلا بهذا الهذر الذي لا معنى له
أبدأ إلا (النهاية) الضحكة لفرسة التي قطع رأسها في بلادنا ،
وبقيت أذنانها تتحرك كما يتحرك ذنب (سام أبرص) بعد
دعاه بالخذاء ؟ ... وهذه ثمرة (حرية الكتابة) ، فساد كل
دعوى في الأدب أحق يستطيع أن يكتب ما توحى إليه حماقته ،
ومادام كل رجل معه ثمن الورق وأجرة المطبعة يستطيع أن
ينشيء صحيفة أو مجلة تنشر كتابات الأديباء والحقى ، فارتقب
المعجب المعجب ، من هذا (الأدب ...) الجديد ، وهذه
(المجلات ...) الهدية التي لا آسف على شيء إلا على أنها لم تلحق
الأديب الكبير أبا المبر الذي كان يقف على جسر بغداد فيكتب

(١) كان أجدادنا يسون لربما قرينة وفرسة ينتج الفناء والراء
ويطام مبروطة

بول ثرلين (Verlaine) : « الشعر ما انبث من قرارة النفس ،
ورفع إلى ذروة السماء ، وكان موسيقياً قبل كل شيء » .

وهذه غاية ما نظر إلى أبعد منها أديب ، ولكن هل بلغ
الأدباء الرمزيون هذه الغاية ؟

الجواب : لا ، وإن نهاية ما وصلوا إليه أن جاءوا بشعر في
ألفاظه موسيقية وجمال ، يلوح من ورائها معنى فيه من (تلك)
الحالات النفسية غموضها ، ولكن ليس فيه سموها ولا عظمتها ،
ولا يدنى منها ولا يوصل القارئ إليها .

هذا ما عندهم ؛ فما الذي عندنا ؟

الذي رأيناه عندنا إلى الآن : أفكار مهوشة مضطربة في
رؤوس أحب أصحابها التعبير عن أفكارهم بالشعر ، ولم يؤثروا
ملكته ، ولا أعدوا له عدته ، ولم يعطهم الله (شعور) الشاعر ،
ولطف حسه ، وصفاء نفسه ، فاستماضوا عن ذلك كله بالانتماء
إلى المذهب الرمزي ... ولا يكف ذلك من يريده إلا أن يكتب
في رأس قصيدته ... أو مصيبته التي يجب أن يزلها بالقراء ، كلمة
(من الشعر الرمزي) وأن يلقى صحفياً أحق ينشرها له ...

وكل الذي قرأناه إلى الآن من هذا الشعر ... الرمزي ،
قطع هي أبعد عن الموسيقى من بُعد الأرض عن السحاب ، وبُعد
أصحابها عن الشعر ، وهي تنزل بقارنها إلى أحط دركات الاستمزاز
و (القرف ...) بدلا من أن ترفعه إلى السماء التي ينظر إليها
(فيرلين) عميد الرمزيين الأصليين لا القردة التقليديين ...

لا . لا هذه ولا تلك ، فالرمزية الحقيقية حلم جميل ولكنه
مناف لطبائع الأشياء فلا يتحقق أبداً ، ورمزية أصحابنا ...
(تهريج) ثقيل ، وتقليد بشع ، وعدوان على الفن ، فلا تدخل
حرم الشعر أبداً ...

إنها رطانة بحروف عربية ، و (شعر ...) ولكن لا شعور
فيه ولا موسيقى ولا حياة .

معوذة إلى « مبرية الكتاب » :

دفع إلى أمس صديق الأستاذ مظهر العظيمة عدداً من مجلة
الثقافة فقال :

— انظرونا في هذا العدد .

أما أنتم فلا بنات لكم ولا أخوات : ولو كن لكم لما باليت
والله بأعراض بناتكم وأخواتكم ، ولكشفتموهن على البلاج
ولعلمتموهن (مرشدات) . إنكم تؤثرون لذة الإباحية والانطلاق
على شرف العفاف والحرمان ، ثم إنكم جاهلون تقولون
ما لا تفهمون ، وتعرفون بما لا تعرفون ، أنسدتكم بكتاباتكم
هذه ملكة البيان في نفوس النشء ، وأنسدتكم خلق العفاف في
قلوبهم ، وأنسدتكم ميزان المنطق في رؤوسهم ، وتلقون مع ذلك
مجلات تنشر لكم ما تكتبون ...

إني أعود مرة ثانية فأقول : إن المصيبة ليست بهذا الدعي
الجاهل ذنب فرنسا صاحب هذا الهذيان ولا بأمثاله ، ولكن
المصيبة في (حرية الكتابة) فتى يصحرو رجال الحكومات ،
ويتنبه العقلاء ، فيكفوا هؤلاء الأولاد الذين لا أعراض لهم ،
عنا وعن أعراضنا ؟

متى ؟ متى ؟ أبعد خراب البصرة !

على الطنطاوى

الأستاذ ساطع الحصرى

يقدم :

إلى المعلمين والمربين والوالدين والمفكرين

١ - آراء وأحاديث في الوطنية والقومية

٢ - آراء وأحاديث في التربية والتعليم

وهما خلاصة مطالعات ، وزبدة تجارب ، في ترتيب

منطق ، وأسلوب سهل ، وصورة مشوقة

يطلبان من إدارة الرسالة ومن سائر المكاتب الشهيرة

٣٠ قرشاً للأول و ٣٠ قرشاً للثاني

عدا أجرة البريد

كل ما يسمع من كلام المتنازين في صحيفة معه ، ثم يشقها
ويخالف بين أجزائها ويقرأ ما تحصل معه ، نياتي بالأعاجيب ،
إذن لكنت تنشر له ، وتقدمه وتفضله على سائر الكتاب ، لأن
مقياس الجودة عند أصحاب هذه المجلات الجدة والمخالفة ، وآثار
ابن العبر هذا جديدة لم يسبق إليها ، مخالفة لكلام العقلاء جميعاً .
قال : أرجو أن تتم المحاضرة .

قلت : أعود بالله ، ماذا عملت معك حتى تعاقبني بقراءتها ؟
قال : لا بد .

وأخذ يتلو على تنمة هذا الهذر :

« السكون والحركة هذا هو كل ما استطاعت الحصول عليه
من وراء دراستي للأدب العربي والأدب الفرنسى » .

قلت : يظهر أن هذا الرجل قد أطلال الدراسة للأديين ،
وسهر فيها الليالي ما دام (كل) ما استطاع الحصول عليه (من
وراء ...) هذه الدراسة ، هو السكون والحركة ، وما السكون
والحركة ؟ العلم عند الله ، فهذا شئ يدق عن أفهام أمثالنا من
عباد الله الساكنين ، ويملو عن مداركهم ...

وجمل يقرأ أشياء من هذا الباب ، وأنا لا أكاد أفهم منها
إلا مفردات الألفاظ ، أما الجمل وما يراد من إيرادها ، فكان
يخفى عني ، حتى وصل إلى قوله :

« ... وفي أزهار شر (بودلير) و (لا أخلاقية) أندره جيد ،
وإباحية فيكتور مرغريت الأدب الحر والفن الثائر » .

قلت له : وصلنا . هذا هو المقصد ! إنه ينقم من الأدب العربي
خلوه من هذه (اللا أخلاقية) وهذه (الإباحية) مع أنه لم يخل
منها ، ولكن هذا الجاهل لم يسمع كما يبدو بامم بشار وأبى نواس ،
وأبو نواس هو أمام أندره جيد في (مذهبه ...) .

هذا هو مقصد هؤلاء الذين سماهم الأستاذ سيد قطب أولاداً
لا أعراض لهم ، كما جاء في إحدى مقالاته العظيمة التي جمل
عتوانها (من لغو الصيف) وهى والله الجد كل الجد ، ليست
باللغو ولا باللهو ، وهى من خير ما جرت به الأقلام في هذا العصر .
هذا هو مقصدهم : الإباحية !

إنه لا يفيظهم شئ ما يفيظهم أن يكون في الكتاب من
يدعو إلى الأخلاق ومن يحارب الإباحية ...
إننا نحاربها يا أولاد ، لأننا أعراضاً ، وأن لنا بنات وأخوات ،

الحضارة المصرية

في عهد الدولة الوسطى

بحسب للمعروف الأثرى أريك بيت

للاستاذ أحمد نجيب هاشم

عهد الإقطاع :

يطلق عادة على الدولة الوسطى - وتشمل بعينها الحدود الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ - ١٧٨٨ ق . م) - عهد الإقطاع أى أن نظام المجتمع كان يشبه ذلك النظام الذى ساد فى أوربا فى العصور الوسطى - فهناك على رأس الحكومة يقوم الملك ، وهو لا يزال نظرياً مصدر السلطات كلها ، والكاهن الأكبر لكل الآلهة ، والشرع الوحيد - وبلية عدد كبير من الأمراء المحليين يتسلمون أراضيهم منه ، ويدينون له بالولاء ، ولكنهم مستقلون عنه فى إماراتهم ومقاطعاتهم استقلالاً يكاد يكون تاماً . على أنه لا ينبغي أن ننسى أن تلالى فى الفرق بين هذه الأحوال وتلك التى سادت فى عهد الدولة القديمة . فالفرق كان فرقاً فى الكمية أكثر منه فرقاً فى الكيفية .

فى أواخر الأسرة السادسة سقطت مصر فى فوضى شديدة نظراً لعجز الملوك عن الإشراف على الأمراء الأقوياء وضبطهم ، ثم لافارة قبائل « حامو » الآسيوية على الدلتا . فاستقل أمراء المقاطعات وصاروا يتنازعون فيما بينهم ، فاضطرب الأمن واختلت أحوال البلاد ؛ لذلك كان تاريخ تلك السنوات مظلماً ، وعند ما ينبثق النور نجد الحكم فى يد أسرة من الأمراء مقرها هيراكليوبوليس فى مصر الوسطى - وقد ذكر مانيتون أنهم كانوا الأسرتين التاسعة والعاشر - ونجد فى الجنوب أسرة أخرى تقوم بالحكم فى طيبة . هذه هى الأسرة الحادية عشرة ، وقد عاصرت الهيراكليوبوليسيين مدة ما ، ولا بد أن نزاعاً شديداً

قام بين هاتين الأسرتين ثم انتهى بانتصار الجنوب انتصاراً حاسماً . ولما تولى الحكم الطيبيون ملوك الأسرة الثانية عشرة ، واجهتهم حالة تختلف كل الاختلاف عن تلك التى صادفت الملك مينا عند ما وحد القطرين - فقد انتهز الأمراء المحليون سنوات الاضطراب وعادوا إلى توطيد سلطتهم ، وتقوية نفوذهم حتى تجرأ أمراء « مقاطعة الأرنب » على قطع الرمر من محاجر حاثنوب ، وكان هذا الحق مقصوراً على الملك وحده ، وزيادة على ذلك أخذوا يؤرخون نفوسهم التذكارية هناك بتاريخ سنوات حكمهم الشخصى - وقد وحد أوائل ملوك هذه الأسرة الجديدة تلك العناصر المتفرقة ، ولكنهم لم يستطيعوا التغلب عليها فقبلوا حلاً وسطاً وذلك أنهم مقابل الولاء الذى طلبوه من هؤلاء الأمراء سمحوا لهم أو على الأقل لم يشكروا عليهم درجة كبيرة من الاستقلال المحلى .

انخفاض أمراء الإقطاع :

ولم يشمر الطيبيون أنهم فى مراكز قوى يسمح لهم بإخضاع أولئك الأتباع المشاكسين حتى تولى الحكم سنوسرت الثالث كما يتبين ذلك من توقف الأمراء فجأة عند بناء مقابرهم الصخرية فى عهده بجبهات البرشة وبنى حسن ومير - ثم عاد الأمراء إلى تقوية نفوذهم فى عهد أمنمحيث الرابع . فعادت الفوضى الداخلية إلى البلاد مرة أخرى ، ووقعت فريسة فى أيدي النزاة الآسيويين المروفين بالهكسوس .

وبمقتضى هذا النظام الإقطاعى كانت سلطة الأمير فى إقطاعيته تكاد تكون هى السلطة العليا . أجل كان يديها أنه عند ما تخلو إقطاعية من أميرها تعود إسمياً لفرعون كي يهبها مرة أخرى ، ولكن لعله كان من الصعب عليه أن يرفض الوارث الشرعى حقه فيها ، وقد وضع أحد أمراء أسيوط فى العقود الكثيرة التى عقدها مع كهنة المعبد المحلى كي يتولوا تقديم القرابين لمعبوته بعد موته - الفرق بين ميراثه عن أبيه ، وبين أملاكه بحكم وظيفته كأمر - فالأولى يتصرف فيها بلا قيد ولا شرط حتى عن المستقبل ، والثانية لا يستطيع أن يتصرف فيها بعد موته

أمام الوزير في محكمته في أيام الأسرة الثامنة عشرة كانت موجودة بشكل ما أيام الأسرة الثانية عشرة .

الربانة والأهرون :

ما مبلغ دلالة هذا النظام القانوني على وجود قانون خلق؛ ثم إلى أي حد كان لهذا إن وجد - أساساً دينياً ؟ - هذه أسئلة ليس من السهل الإجابة عليها ، وإن الصورة الناقصة التي لدينا عن الديانات المصرية أيام الدولتين القديمة والوسطى تمثلها كأنها شيء شكلي غير شخصي ، فعبود الشمس « رع » الذي علمت منزلته حوالى بداية الأسرة الخامسة ، وكان منديجاً مع العبود حوريس في شكل « رع حوريس الأفق » اندمج مرة أخرى بالإله آمون إله طيبة لما ارتقت منزلته بارتقاء الأسرة الثانية عشرة الطيبة الحكم ، وسمى « آمون رع » .

ولكن مما لا ريب فيه أن كان هذا الإله المصرى العادى شيئاً بعيداً غامضاً ؛ فقد كان اهتمامه الدينى - مركزاً في إله مدينته أو إقليمه . بل وهنا أيضاً كانت الديانة مجرد احترام للتقاليد والطقوس أكثر من كونها صادرة من الضمير ، فالنقوش التي دونها الأمراء على جدران مقابرهم ، وتباهوا فيها بأعمالهم في حياتهم قلما تشير أو قد لا تشير بالمرء إلى أداء العمل الطيب لذاته أو لأن الآلهة تحض عليه . كذلك تمطينا أوراق البردي التعليمية للفكرة نفسها حيثما نحث على اتباع الأمانة تحض عليها لجرد أنها « تفيد » صاحبها .

وفي الوقت نفسه يمكننا أن نتبع في الدولة الوسطى بداية ظهور مقياس خلق واعتقاد الحساب في الآخرة ، وهذا راجع إلى حد ما إلى انتشار عقيدة أوزيريس الذي اعتقد فيه أهل الدولة الوسطى أنه يسكن أيديوس كإله الموتى ، فنرى في النقوش الواردة على توابيت هذه الفترة أول إشارات إلى هذا الإله بأنه القاضى الذي يعرف الحق من الباطل ، وهذه فكرة لم تبلغ تطورها التام إلا في عهد الدولة الحديثة فقط ؛ فلم تكن هناك في الدولة الوسطى قاعة الآثام المعروفة التي كان يتبرأ منها الميت أمام محكمة أوزيريس بالاعتراف العلني .

ولكن ما مقدار هذا الخوف من حساب الآخرة ؟ أليس

— وظل الملك كما كان الحال في عهد الدولة القديمة — حقوق مالية في كل إقليم ، وكان موظفو الخزينة العليا يجمعون الضرائب .

القانون :

كان الوزير ساعد الملك الأيمن في كل المسائل الإدارية والقضائية ، ولا نعرف عن نظم القضاء نفسها أكثر مما نعرفه عنها في عهد الدولة القديمة ؛ بل ولا نستطيع أن نقول إلى أي حد كانت هناك مجموعة من القوانين التي تعالج الجرائم الجنائية — بيد أن معلوماتنا عن القانون المدني أحسن وأوفر ، فنجد بين نقوش مئين سلسلة من الوصايا تنسب إلى حكم سفرو أحد ملوك الأسرة الثالثة ، وهي على رغم قدمها تدل على الدرجة الراقية التي وصلها قانون المقار إذ ذاك ، وبين النقوش الواردة على جدران مقابر الأسرة الخامسة وصايا كثيرة عن أراض نظير خدمات جنازية يقوم بها الموصى إليه لصاحب الوصية — كذلك تحوى أوراق البردي التي عثر عليها في اللاهون عدداً من العقود والوصايا مكتوبة بأسلوب راق وتعبيرات فنية تدل على أن كتابها محامون فنيون ولو أن هؤلاء لم يتمتعوا ب لقب غير لقب الكاتب وهو بالهيردغليفيه « شش » .

وأهم الوثائق كلها هي الواردة في نقوش مقبرة الأمير حنظلا أمير أسيوط السالف الذكر ، وفيها يعقد بصفته رئيس كهنة معبد أبواوت إله أسيوط المحلي عشرة عقود مع الكهنة يتنازل فيها عن جزء من نصيبه الحال في القرابين التي تقدم إلى المعبد مقابل خدمات يقوم بها الكهنة له بعد موته — وهنا نجد التمييز القانوني بين ما يملكه الشخص بصفته الفردية وما يملكه بصفته موظفاً ، وبين هذه العقود واحد يعقده الأمير بين نفسه بصفته الفردية وبين رئيس كهنة أبواوت بصفته موظفاً ، وعنى من الذكر أن رئيس الكهنة هنا هو حنظلا نفسه تدل هذه الوصايا والعقود على أن قانون المقار كان موجوداً ومحترماً في مصر في عهد الدولة الوسطى . والغالب أن القانون الجنائي لم يكن أقل تقدماً . ولا غصاصة علينا في أن نجرؤ فنظن بأن الأربعين درجاً التي حوت هذا القانون والتي كانت تبسط

شاسعة للزراعة من تلك المساحات الهائلة التي كان يغمرها ماء الفيضان، عند مدخل الفيوم، وذلك ببناء سور عظيم .

الحارة الوعظماوية :

الريقق : سرعان ما ظهرت نتائج هذه الإصلاحات في زيادة رفاهية البلاد . نعم إن الرقيق لم تتغير حاله عما كانت عليه أيام الدولة القديمة ، والواقع أنها قلما تغيرت طول عصور التاريخ المصري .

الأشراف :

أما النبيل المصري فقد عاش عيشة الترف والمتعة ، واقترب بها في بعض الأحوال عنابة طيبة وشفقة بأولئك الذين يخضعون لسلطته . هذا طبعاً إذا صدقنا النقوش الواردة على مقابر الأشراف . ففيها نقرأ أن النبيل كان يطعم الجوعان ويكسب المريان ، وينقل في سفينته عبر النيل من ليست له سفينة — وفي وقت المحن كان يعد إقليمه بالغلال ، ولعل دعواه في أنه لم يسلب أرملة أو يقتصب حق يقيم لم تكن مجرد عبارات تقليدية ترددها النقوش — وقد أولع الأشراف بالرياضة فكان النبيل يخرج على قدميه لصيد ما يجده من حيوان في الصحراء ؛ أو يركب قارباً من البردى يخضر به المستنقعات لصيد السمك بالحراب أو وحش الطير بعضاً صغيرة .

ظهور الطبقة الوسطى :

كان ظهور طبقة متوسطة وفيرة العدد من أهم الميزات الاجتماعية للدولة الوسطى، وهذه الطبقة مقابر كثيرة في أيديوس حيث تخيل المصريون وجود قبر الإله العظيم أوزيريس وتسمى بكل مصري صالح أن يدفن على مقربة منه . وكان إذا أدرك استحالة ذلك قام على الأقل بالحج إليه أو أوصى بأن تحمل جثته بعد تحنيطها إلى أيديوس لتجضر احتفالاً دينياً قبل أن ترقد في مقراها النهائي في مدينته أو إقليمه — وهكذا كانت أيديوس مركزاً دينياً هاماً في القطر المصري .

أحمد نجيب هاشم

(للبحث بقية)

من المرجح أن القوم في الدولة الوسطى اعتقدوا كما اعتقد خلفهم في الدولة الحديثة بصحة التعاويذ السحرية التي كانت تدفن مع الميت سواء أكانت في شكل نقوش على تابوته أم كانت لفة من ورق البردى ، واعتبروها حامية كافية له ضد عواقب حياة أثيمة ؟ وإذا فرضنا أن نشأة الاعتقاد في الحساب في الآخرة تدل على نهوض وازع خلق ألا يظهر كأن السحر سرعان ما قدم مسكناً دفع ذلك الرادع التائر إلى النوم مرة أخرى ؟

الواقع أن هذه أسئلة يصعب الإجابة عليها نظراً لقلة الأدلة التي لدينا فمن الصعب أن نقرر شيئاً حاسماً في هذه المسألة في حالة أمة تبتسح الآن ناهيك بشعب مضى فان هذا عادة يكاد يكون من المستحيل .

العناية بنظام الري :

وإذا انتقلنا من هذه الناحية الخلقية من الحياة المصرية إلى الناحية المادية واجهتنا مسألة أسهل . فهنا مع أن أحوال الميشة العامة لم تتغير في بعض نواحيها عما كانت عليه أيام الدولة القديمة إلا أنه من الممكن أن نذكر تقدماً جد عليها ، ويرجع هذا التقدم إلى أمرين أولهما : نمو التجارة الخارجية ، وثانيهما : تحول الفراعنة عن تسخير الرعيّة في أعمال لا فائدة منها أي في بناء الاهرام ، إلى العمل النافع الذي يعود على البلاد بالخير وهو تحميم نظام الري . وسنبعث هذا الموضوع الآن ، أما الأمر الأول فسنؤجل التكلم عنه إلى مكان آخر في هذا البحث .

لما كانت واحة الفيوم في منخفض عن سطح البحر كان فيضان النيل يغمها كل عام ويحولها إلى بحيرة عظيمة ، وفطن ملوك الأسرة الثانية عشرة إلى خزن كمية عظيمة في تلك الجهات ، وتصريفها وقت التحاريق كي تطول مدة رى الوجه البحري — أي إن الفكرة كانت تشبه الفكرة الخاصة بمخزان أسوان الحديث . ولا يعرف بالضبط من من فراعنة الأسرة الثانية عشرة نفذ هذا المشروع ، وإن كان قد جرى العرف على نسبته إلى أمنمخيت الثالث — وقد عمل المشروع على كسب أراض

فرويد ونظرية التحليل النفسي

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني



مذهب فرويد أو فلسفته من المذاهب التي لتيت رواجاً عظيماً في العصر الحاضر ، وأحدثت انقلاباً في علم النفس ، وانقسم العلماء بالنسبة لآرائه إلى فريقين : معسكر الأنصار والمحبين والتلاميذ ، ومعسكر المنكرين والناقدين . ومن تلامذته الذين خرجوا عليه وكونوا مذاهب جديدة في تفسير الحياة الإنسانية « أدلر وبوج » .

ويرى فرويد — كما يرى غيره من علماء النفس — إلى تفسير الأعمال الصادرة عن الإنسان . فليس هناك عمل نفسي مهم ما خيل إلينا أنه نافه بخلاف معنى . فإذا بدا لنا أحد هذه الأعمال غريباً ، فواجبنا أن نسمي إلى كشف العلة في حدوثه ، والفرض الذي يرى إليه ، والزعة التي دفعت إليه

ونضرب مثلاً لما قدمنا يوضح ما يذهب إليه فرويد قبل أن ندخل في صميم نظريته : دخلت خطيبة إلى الحمام وخلعت خاتم الخطبة ونسيت أن تلبسه ثانية ، ثم أخذت تبحث عنه ولم تهتد إلى مكانه . نسيان الخاتم سلوك سدر عن الفتاة قد يفسره البعض أنه راجع إلى الشرود أو الانشغال أو الصدفة . وكثير من الناس لا يجدون تعليلاً لهذا العمل . أما فرويد فيجعل السبب في ذلك رغبة الفتاة عن خطيبها وعدم رضاها عن الزواج ، فتحررها هذه الرغبة الباطنة التي لا تشر بها ، لأنها موجودة في اللاشعور إلى نسيان الخاتم ، وهو رمز الزواج .

هذه النظرة إلى الأعمال الإنسانية علمية وديناميكية :

فهي علمية لأن فرويد يحاول ربط المظاهر بالأسباب كما يجري في عالم الطبيعة . فهي نظرية جبرية Determinist . وليس هذا مما يعاب على فرويد ، بل على العكس مما يمدح به محاولته هذا التفسير الجبري الذي بدونه لا يستقيم العلم الصحيح ، بل يخرج علم النفس من ميدان العلوم .

وهي نظرية ديناميكية ، لأنه يجعل للنفس الإنسانية قوى متحركة يصدر عنها السلوك . وفي ذلك يقول في كتابه « مدخل إلى التحليل النفسي » ما يأتي :

« ليس غرضنا أن ننسب وترتب المظاهر حسب ، بل نريد أيضاً أن نراها علامات على حركة القوى العاملة في النفس ، كأنها مظاهر ميول لها غرض محدود ، سواء أ كانت هذه الميول تعمل في اتجاه واحد أم في اتجاهات متعارضة . إننا نسمي وراء تكوين نظرة ديناميكية Conception dynamique للمظاهر النفسية » وقد أوردت هذا النص لعله ، ذلك أن أحد الباحثين في علم النفس ، وهو الدكتور يوسف مراد الدرس بكلية الآداب قال في كتابه « شفاء النفس » ص ٩٥ ما يأتي :

« تمتاز فلسفة فرويد بكونها ميكانيكية جبرية ، فإنها تنظر إلى الإنسان كأنه آلة عديمة الحرية خاضعة كل الخضوع لقوى خفية لا يمكن التغلب عليها إلا بالحيلة » . وقال في مكان آخر : « أما فلسفة أدلر ، فهي على نقيض فلسفة فرويد ، تمتاز بكونها غاية اختيارية تفاؤلية . ونعم أن المذهب الثاني على نقيض المذهب الميكانيكي » ص ٩٧ - ٩٨ . فهو يجعل مذهب فرويد ميكانيكياً ويقول الطيبان ريجي وهمنار في كتابهما التحليل النفسي ص ١٥ : « إن نظرية فرويد تمثل الحياة النفسية في نظرة موضوعية على طريقة النظر إلى الوقائع العلمية ، كما تمثلها مذهباً (System) يتطور باستمرار ، يحتوي على قوى أولية متعارضة أو مكونة أو منتجة . ونستطيع تطبيق اصطلاح علم النفس الديناميكي على هذه النظرة الديناميكية للعقل »

وقد أخطأ الدكتور يوسف مراد خطأ آخر ص ٩٧ : « وأخيراً يجب أن نشير إلى الشجاعة التي واجه بها فرويد المشكلة الجنسية وإلى الدقة الفائقة التي حلل بها مختلف مظاهر الوظيفة الجنسية ، غير أنه أسرف ، وخاصة تلامذته ، في إرجاع كل ظاهرة سلوكية إلى الفريزة الجنسية »

وليس الأمر كذلك عند فرويد ، لأنه لا يرجع كل شيء إلى الفريزة الجنسية ، بل بعض تلامذته ، وأولئك الذين كتبوا عنه كتابات شعبية تحمل معنى التعميم والتبسيط . وقد دافع فرويد عن نفسه ضد الذين يخطئون فهمه فقال : « لقد كررت وأعلنت بكل وضوح ما استظمت إلى ذلك سيلاً ، بمناسبة الأمراض النفسية الانتقالية ، أنني أميز تماماً بين الفريزة الجنسية وبين الفريزة النفسية (Tchtriebe) ، وأن اللبى Libida ، بمعنى نشاط الفريزة الجنسية . إنه يوجب — لا أنا — الذي

سلوكه الحاضر ، فقد بحث في الحياة الجنسية للفرد منذ ولادته ، حتى دور الرأفة ، وافترض أن الرضيع يشعر بلذة جنسية من امتصاص ثدي أمه ومن إخراج الفضلات ومن اللامسة مما لا يتسع تفصيله الآن

وإنما تذكر أهم الاعتراضات العلمية التي توجه إلى نظرية فرويد لتكوين ماثلة بالبال

وأولها أن نسبة لذة جنسية إلى الرضيع والصغير فيها شيء كثير من الإسراف والفلو بل الجرأة . ثم إن فرويد يقيم بناء نظريته على دراسة الرضخ والشواذ ، ويتخذ من هؤلاء سبيلا إلى أحكام عامة يصدرها على سواد الناس وهم الأغلبية ، فيحكم بالخاص على العام ، وبالشاذ على السليم . كما أنه لا معنى أن تفسر شخصية الإنسان في ضوء التريزة الجنسية ، ولو عكسنا لأصبنا الحق ، فتصبح التريزة الجنسية وما يتبعها من مظاهر إحدى وظائف الفرد التي تدخل في حسابنا ، وليست كل وظائفه على رأي المغالين في مذهب فرويد .

أحمد فؤاد الأهواني

بادر باقتناء نسختك

قبل نفاذها

من كتاب :

دفاع عن البدو

للأستاذ

احمد الزيات

يطلب من دار « الرسالة »

ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ١٥ قرشاً عدا البريد

يجعل من اللبید مساوياً للدافع الفريزي لجميع القوى النفسية . وقال فرويد في موضع آخر : « لم يغفل التحليل النفسي مطلقاً وجود ميول غير جنسية ، وقد أقام التحليل النفسي بناءه على مبدأ الفصل التام الواضح بين الميول الجنسية والميول المتصلة بالذات أو الأنا Le moi ، وقد أثبت التحليل دون انتظار الاعتراضات الموجهة إليه ، أن الأمراض النفسية ليست نتيجة التريزة الجنسية ، بل نتيجة الصراع بين الأنا والتريزة الجنسية Conflit entre Le moi et la sexualité » .

وهنا نجد أن الدكتور يوسف مراد يقع في خطأ ثالث إذ يقول : « إذ ليس هذا رأى فرويد كما رأينا ، لأن المرض قد يقع نتيجة الصراع بين التريزة الجنسية والأنا في حالة الشعور ، وقد يكون الصراع في اللاشعور فقط . فالمدن الذي يشعر بعجزه عن مباشرة المرأة يضطرب نفسانياً لشعوره بالضعف » .

والغريب أن الدكتور يوسف مراد أنصف نظرية فرويد ص ٨٦ بقوله : « والواقع أن المشكلة النظرية التي أثارها التمارض بين فرويد وأدلر لا تزال حتى الآن متعلقة . بل يبدو أن النزاع بين الفريقين يزداد عنفاً ويتجاوز حدود المناقشة العلمية الهادئة إلى أساليب التهمك والتحقير » . ثم عاد وحقر نظريته بما يخرج عن الأسلوب العلمي

وأذكر الآن حالة مريض عالجته على طريقة فرويد لأثبت صحة نظريته . جاءني شاب يشكو ضيقاً وقلقاً وتبرماً وانصرافاً عن الاستذكار ، وتبلغ سنه اثنين وعشرين عاماً ، يعيش مع أخيه الأكبر ، يتناول من والده مرتباً لمصروفه الشخصي أربعة جنيهات في الشهر . سألته عن أحواله الجنسية فقال : إنه يتصل بالماهرات ، ولكنه لا يستطيع الزواج نظراً للظروف الاجتماعية إذ لا يزال طالباً ، ولا يستطيع الصبر عن المرأة . وبالمبحث انضح أن ضمير يؤنبه على هذه الصلة غير الشريفة ، فهناك صراع بين التريزة الجنسية وبين نفسه الخلقية ، وكلاهما كان في مستوى الشعور ، وحلت المشكلة بتعليمه التسامى بالتريزة الجنسية نحو الموسيقى التي برع فيها .

وحيث كان فرويد يجعل للتريزة الجنسية أهمية كبيرة في حياة الإنسان ، ويجعل لتجاربه الماضية المسجلة في اللاشعور أثراً في

الخائبون ... !

للأستاذ عبيد الوهاب الأمين



ان أولئك الذين يسمون الحياة إلى قسمين: ملهاة، ومأساة،
قصروا النظر؛ فالحياة أكبر من هذين، وهي تحويهما لأنها
أوسع من أن تحيد بحاتين فقط، وإن كانت هاتان الحالتان تمثلان
طرفي نقيض

وحيث تنتهي الملهاة تبدأ المأساة في حياة كل فرد أو مجموع،
كما أن نهاية المأساة قد تكون بداية للملهاة جديدة... وهكذا
والناجحون في الحياة هم أناس رأوا متبا جانباً واحداً فقط.
وبينهم وبين أن يدركوا معنى الحياة بصورة شاملة عبور الجانب
الآخر ..

ولا يضير هذه القاعدة أن يعيش في الدنيا أناس جربوا
النجاح حتى آخر لحظة من حياتهم، أو أن يكون هناك آخرون
لم يصادفوا غير الفشل. فالواقع أن هؤلاء هم الشذوذ الذي يثبت
القاعدة ولا ينفيها.

وينبغي أن نفرس ما نرى إليه من النجاح أو الفشل في الحياة
الفردية، فقد يفهم كثير من الناس من النجاح جانباً واحداً
مثلاً، وقد يكون هذا الجانب هو الثروة عند الفقراء، أو الصحة
عند المملولين، أو سواء الخلقة عند المشوهين.

ولكن النجاح الذي نرى إليه هو قدرة الفرد أو المجموع
على بلوغ مثل أعلى لا يتقيد بحاجات الفرد الزمنية أو المادية،
وينطوي على فكرة سامية وهدف مقصود.

والخائبون في بلوغ هذا الهدف، مع استمرار كدهم،
هم الذين يستحقون العنابة، لأنهم بذلوا جهدهم كله، وما زالوا
يبذلون ...



قليل إن عادة جميلة لم يأسر قلبها حب، ولم تجرب بعد زكامه،
اختصم حولها رجلان كان كل واحد منهما يظهر لها أقصى غاية
الحب والتضحية... فخارت في أمرها، ولم تجد في قلبها هوى

مميماً نحو أحدهما على التخصيص فصممت على أمر!
قالت لها: إنها لا تشعر بعيل قطي إلى أحدهما، ولكنها
ستهب نفسها للفائز منهما في صراع ينشب بين الإثنين، يقرر
الغلبة لواحد منهما!

واصطرع العاشقان وتمت العملية بفوز الفائز...!
والفت هذا مفتوح الذراعين ليحتضن أميته في الحياة...
فأراعه إلا أن رآها منكبة على العاشق المعسروع، تضمده
أوجاعه، وتهب له قلبها!!

فلما سئلت: لما ذا غيرت رأيها؟ أجابت بأنها لا تستطيع
إلا أن تحترم ذلك الذي أفنى كل جهده في سبيل الحصول عليها،
ولم يبق لديه بعد ذلك شيء يثنيه!!

وهذه المرأة سليمة الشعور، قوية العاطفة، وهي خير مثال
يضرب لفكرة تقدير «البطل الخائب»، وإن كان هو في هذا
المثال قد خرق القاعدة فقال ما تنهأ بسهولة...

والنجاح السهل الذي يخيل لبعض الناس أنه ميزة يمتاز بها
بعض من حبتهم الطبيعة ما يسمونه «الحظ»، قد شوه الواقع
تشويهاً، وأصبح من جملة الشرور البشرية التي يكابد منها كل
فرد في كل مجموع!



النجاح السهل هو ما يريد كل الناس في كل الأزمان،
لأنه خير اختصار للمجهود الشاق الذي ينبغي على الحى أن يبذله
في سبيل حياته!

وأسطورة «الحظ» هي الحلم الذي يظرق أخيلة الطامعين
بعد كل كابوس!

وليس معنى هذا أن ليس هناك «حظ» في الدنيا، ففيها
كثير من الحظوظ والمخطوظين، ولكنهم - هنا أيضاً - القلة
التي تثبت القاعدة ولا تنفيها.

ومن هذه الأسطورة نشأت شرور «الحياة الحائلة» التي
تبدأ بالراهقة، وقد تنتهي بالسجن والمذاب، أو بمسقاء
المسؤوليات التي لا يستطيع الفرد أن يضطلع بها

والجالون هم أولئك الناس اللذين يريدون أن يختصروا
الطريق إلى غاية معينة لكي ينصرفوا - من بعدها - إلى اللذل

الأعلى الذي يسمون إليه ، فلا تنتهي حياتهم قبل أن يقطعوا الطريق ، وتلتأ أفكارهم في الصراع على الآونة الحاضرة ، ويصبح المستقبل عندهم أبعد من الماضي

والقاصرون هم خير مثال لذوى الحياة الخاملة إذ كان مثلهم الأعلى هو الثروة ! والموسوسون هم خير مثال لأولئك الذين يريدون السعادة الظهيرة من أقرب طريق !

أما شر ما يمكن أن يصنعه « الحالم » في هذه الدنيا ، فهو بعد أن يتحقق حلمه الأول

فليست هناك قوة تقنع الإنسان بعد تحقق أول حلم له بأنه غير موهوب وذى رسالة ينبئ عليه أن يؤديها

ومن هنا يبدأ النزاع الأبدى بين المنطق والواقع ، وبشتد الصراع بين قوة قوية دافعة ، وبين واقع واقف كالجدار

وتحمل النكبة عند اختراق أول جدار ، لأنه يفك أسرجيع ما في الفرد من قوات غزوة لكي يندفع إلى الأمام

ولا تنتهي حياة كهذه إلا بكارثة ، وأهول الكوارث في هذا المضمار هي الكارثة التي تقتصر على الشخص الفرد نفسه ، ولا يشترك معه آخرون

وما هذه الحرب التي نكابد شرورها إلا نتيجة كابوس

طويل لرجل حالم تحقق حلمه الأول !

الحياة مرحلة من مراحل الحياة يجب أن يتخطاها الفرد لكي يكون ذا تجربة

ولا يضير هذه القاعدة قول « أوسكار وايلد » إن « التجربة هي اللفظة التي اصطلح الناس على تسمية أخطائهم بها »

فالواقع أن الخطأ كالخطيئة ، هو الجانب الآخر الذي يقاس به الصواب والفضيلة . وكما أن الخطيئة عمل إيجابي قائم بذاته ، فكذلك الفضيلة ، وكل فضيلة مبنية على السلب فهي شق يبنى تكلمته

وكل نجاح سهل يحصل عليه الإنسان ، فهو الشق الناقص من حياته ، وينبنى تكلمته

ومن لم يصطرع في حياته تهشم عند أول صراع بعد نجاحه وليس انتحار المورسين والأشياء والموهوبين إلا لأنهم حازوا أكبر نجاح بأقل خذلان ، ولأنهم اصطدموا بالواقع لأول مرة في حياتهم ، جاءت الرجة أقوى مما يتحملون ولهذا قلن يكون مما يضير الإنسان الكامل الإنسانية أن يكون « خائبا » !

عبد الوهاب الزميين

منظمة مصر العليا الشمالية

إعلان

تعلن منطقة مصر العليا الشمالية بأسبوط بأنه تقرر إنشاء مدرسة بها لتخرج ممرضات مساعدات ومولدات مساعدات وزائرات محبات مساعدات . ويشترط فيمن تطلب المحاق بالسنة الأولى بهذه المدرسة .

١ - أن تكون مصرية الجنس .

٢ - أن تكون حاصلة على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية أو التربية النسوية أو ما يعادلها .

٣ - أن لا يقل عمرها عن ١٦ سنة ولا تزيد على ٢٠ سنة .

٤ - أن تنجح في الكشف الطبي .

٥ - أن تقبل في اختبار شخصي يتبين منه حسن استعدادها لهذه المهنة .

٦ - أن تكون حسنة السيرة مستعدة لأداء واجبها في جميع البيئات والظروف والأحوال .

٧ - تتعهد عند لحاقها بالمدرسة بالخدمة في مصالح الحكومة مدة ثلاث سنوات على الأقل بالماهية المقررة وفي الجهة التي تعين لها بالرضا وحسن القبول . والطالبة التي تحل بتمهدها هذا تلزم بدفع عشرين جنهما لوزارة المعارف مقابل تعاضدها بالمجان . وترسل الطالبات إلى مدرسة أسبوط الثانوية للبنات والتعليم بالمدرسة بالمجان ومبيت الطالبات وغذاؤهن بالمجان أيضا . ٦١٣٢

الأدب في سيرة أعلامه :

ملتن ...

[الفيتارة الخالدة التي غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والخيال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

- ٣٧ -

—•••••—

في سيرة البساطة :

ورضيت حكومية كرمول عن ملتن أعظم الرضاء وأصبح
لديها المكين الأمين ، ورفع كتابه ذكره في أنحاء أوروبا ، ومما
ساعد على ذلك أن كثيرين كانوا يضيئون بترفع سلاميسيس ومفله
ونظرتهم إلى الكتاب والأدباء جميعاً نظرة الزعيم الذي لا يرضى
منهم بغير الإذعان له ، وساعد عليه كذلك أن الناس عادة ينجذبون
إلى الكاتب الجديد الذي يظهره موقف كهذا الموقف . هذا إلى
أن ملتن كان يتفنى بالحرية ويدافع عن حق الشعب قنشيح في
عباراته حرارة الوطنية ، وهو انجليزى يناضل عن بنى جنسه ،
ينها يرى الناس سلاميسيس يعمل لحساب غيره في قضية لا يربطه
بها رباط إلا استجابة لشارل الثانى ، وشتان بين موقفه وموقف
خصمه ...

وأصبح مقر ملتن في ديوان الحكومة كما أصبح بيته قبلة
الزائرين من ذوى المكانة وأعلام الأدب من الإنجليز وغير
الإنجليز من الأجانب الذين يهبطون انجلترا ، ولا ريب أن هذا
قد أثلج قواده وأبهج نفسه ، فما أشد ولوعه بنباهة الشأن وبعد
الصيت ! !

ويزعم جونسون أن ملتن قد نال جزاءاً على صنيعه ألف جنيه
صرفت له بإذن من البرلمان ، ولكن بايتسون ينكر هذا الزعم
ويقول : إن جونسون هو المسؤول عن شيوعه في كل ما كتب
عن ملتن من تراجم ، فهو خالق هذا الزعم ؛ والحق أنى لم أجد
فيما زعم جونسون برهاناً لزعمه ولا فيما أنكر بايتسون دليلاً
لإنكاره ، ولعل جونسون تأثر بما قاله سلاميسيس إذ أنه اتهم

ملتن فيما اتهمه به بأنه مأجور يكتب ما يكتب لا عن عقيدة
ولكن عن رغبة في الكسب ، ويعتمد بايتسون في نفيه هذا
عن ملتن على مجرد استبعاد حدوثه ، فما يتفق هذا وما طبع عليه
ملتن من كبرياء واعتزاز

على أن ملتن في الواقع قد دفع ثمن ما كتب ، ودفع ذلك
الثمن غالباً لا يقوم بحال ولا بشيء من أعراض هذه الحياة ، وأى
شيء أغلى عليه من ناظره ؟ لقد كان ذلك المجاهد الحريشكو
الملة في عينيه منذ بضع سنين ، وكانت تلتاهما غشاوة من حين
إلى حين ؟ وفي سنة ١٦٥٠ ذهب النور من عينه اليسرى ، وحذره
الطبيب ملحقاً ، وما برح يكرر عليه أنه إذا أجهد عينه اليمنى ،
فهي ذاهبة كأختها لا محالة ، ولكنه جاد على وطنه بما يبق من
بصره ، قال في ذلك بعد أن وقعت الكارثة بسنتين أى سنة ١٦٥٤ :
« لقد كان على أن أختار بين أن أنكص عن واجب سام أو أفقد
بصرى ، وفي هذه الحالة ما كنت لأستطيع أن أسيخ إلى
الطبيب ... ولم يك في وسى إلا أن أستجيب إلى ذلك المرشد -
القائم في داخلي ، ذلك الذى لست أدري ما هو ، والذي تحدث
إلى من السماء ، واعتبرت في نفسى أن كثيرين قد اشتروا ما هو
أقل خيراً من هذا بصر هو أعظم مما يهددنى من ضرر ، كهؤلاء
الذين يبدلون نفوسهم مثلاً ليشتروا المجد فخب ؛ وعلى ذلك فقد
جمعت عزى على أن أبذل ما بقى من بصرى على قلته في أداء أعظم
ما في طرق أدائه من خدمة للصالح العام »

ولقد أقبل المجاهد المصمم لم ينكص عن جهاده ، وإنه يعلم
أن ذهاب بصره هو عقاب الله لا يحصى عنها ؛ وما دخلت
سنة ١٦٥٢ حتى حلت به الكارثة وأسفاه ، فحبل بينه وبين
النور ، وغشيتة الظلمة ، وهول يزال من عمره في الثالثة والأربعين
وبانت عيناه اللتان كانتا أجمل ما في بحياه الأبلج الحلو أقوى دواعى
الحزن والألم لكل من تطلع إلى ذلك الحما الكريم ؛ وكانت
الأرض يومئذ تأخذ زخرفها وتزين للربيع ، ولكن الشاعر
الذى عشقت روحه الجمال لن يرى بعد اليوم جمالا لربيع !

وما نحسب أن في تاريخه على ما يزخر به من الشواهد على
شجاعته شاهداً هو أجل من هذا أو أسدق منه أو أبعد أثراً في
النفوس ، وإننا لنحس حياله مثل ما نحس حيال فارس ترك في
الميدان شلوا من أشلائه ، أو سقى أرض وطنه بفيض من دمه !

تلك الملكة الوحيدة^(١) التي يعد تعطيلها موتاً من الموت ، بينما أجد نفسي أكثر نزوعاً لأن أخدم بها خالقي^(٢) وأن أقدم حسابي الحق بين يديه ، خشية أن يحق عليّ لومه ؛ إذا أنا تفكرت في ذلك تساءلات في حماقة : هل جعل الله النهار للعمل ، بينما أحرم هكذا من الضوء ؟ ولكن الصبر كي يقضى على هذه الشكوى لا يلبث أن يجيبني : إن الله غني عن عمل الإنسان وعن مواهبه^(٣)

فإن الذين يدعون لسلطانهم الرحيم خير إذعان هم الذين يخدمونه خير خدمة ، وإن مكانته لدى مكانة الملك المهيمن ، يجزى بأمره الأولون^(٤) في البر والبحر دائبين ، وكذلك يخدمه من هم واقفون لأمره منتظرون » ... وقال ملتن في المقطوعة الأخرى يخاطب صديقه سيريك سكندر : « أي سيريك ، منذ ثلاث سنوات وهاتان العينان وهما من النور سليلتان ، ولو أنهما سليلتان في مظهرهما الخارجى من العيب ومن الفسادة قد نسبتا لبصارهما ، ولا يقع في مقتلتهما المكفوفين منظر لشمس ولا لقمراً ولا لنجم خلال العام ولا لرجل ولا لامرأة ، ومع ذلك فلو أشكو يد الله ولا مشيئته ، لا ولا ينقصني شيء من حاسة القلب ومن الأمل ، بل أحتمل وأمضى قدماً ، ولعلك تسأل : ما ذا يعينني ؟ ألا إنه شعوري أيها الصديق بأنى فقدتهما مرهماً بالعمل في سبيل الدفاع عن الحرية ، ذلك العمل النبيل ، عملي الذي ترن به أوربا من جانب إلى جانب ؛ وإن هذا الخطر الخالق أن يقودني في متاهة هذه الدنيا ، فأسير به رضى النفس ، ولو أنني أعمى ولم يتح لي غيره رائداً أسمى »

واختير له في أبريل سنة ١٦٥٣ مساعد يصرف شؤون وظيفته بأمره ، ويقرأ له ما يقتضيه عمله من قراءة ، ويكتب ما يحمله عليه مما يستدعي العمل أن يدون ؛ وأقبل ملتن على عمله كأن لم يفته عنه عائق ، يشمر من يدايته أنه رضى البال مطمئن الخطار ، لا يفتر اهتمامه بالسياسة ، ولا يتخاذل عزمه أو تتطامن كبرياؤه ...

وفي مايو استطاع ملتن ولم يمض شهر على مصيئته أن ينظم

ولأن فقد البصر يحول بين عامة الناس وبين متع الحياة ، فذهاب بصر الشاعر أو الكاتب معناه الحيلولة بينه وبين طلب الحكمة ، وهذا أوجع في نفسه وألم لخطره من حرمانه من اللهو ومن زينة الدنيا ؛ ولنا أن تصور وقع هذا في نفس كنفص ملتن ، ذلك الذي ما انصرف يوماً عن القراءة والدرس على الرغم من كثرة شواغله وتعدد مشاكله !

البطل الصبر

أحاطت الظلمة بالشاعر العظيم ، فهل ذهبت نفسه حشرات على ما أصابه ؟ كلا ، بل تماسك للخطب وقد أنذرته قبل وقوعه ، وتذرع بالصبر ، وإنه لدو كبرياء حتى على الدهر وأرزائه ؛ وما كان لروح مثل روحه أن تهين مهما كثرته الأهوال ونزل به ما يعيا بمحملة الرجال !

وراح البطل يتلمس العزاء لنفسه ، فكان عزاءه الذي اطمأنت إليه روحه أنه أدى لوطنه صنيعاً جليل القدر بكتابه الذي رد به على سلاميس ، فليس بضائره بعد ذلك أن يذهب في سبيل صنيعه بصره ...

ونعمة عزاء آخر يدلنا على شدة اهتمام ملتن بنفسه وفرط انجاء فكره إلى ذاته ، وعظم انطواء شعوره على ما عسى أن يكون شعور الناس نحو شخصه لا في جوهره فحسب ، ولكن في مظهره كذلك ؛ وذلك ما أحس به من ارتياح ، إذ علم أن ذهاب بصره لم يؤثر في مظهر عينيه ؛ عبر عن ذلك الارتياح في قوله : « إن عيني لم يحسهما في مظهرهما ضر ، وإنهما لالتحمان بضوء لم تحجبه غشاوة ، ومثلهما في ذلك مثل عيني من يبصر بصرأ تاماً ، وهذه هي الناحية الوحيدة التي أجدني فيها على الرغم منى مناققا » ؛ وفي إشارته إلى ما عده نفاقاً منه سخريه عذبة وتهكم لا يخلو من مرارة ...

ولندع ملتن نفسه يفصح عما جال في خاطره نتيجة لما أصابه ، فقد عبر عن ذلك بأبلغ تعبير وأصدق في مقطوعة من مقطوعاته ؛ وأشار إليه إشارة رائعة في مقطوعة أخرى ، قال في الأولى : « إذا أنا تفكرت كيف انطفاً من حولي الضوء قبل أن أقضى نصف أيامي في هذه الدنيا الواسعة المظلمة ، وكيف عطلت في »

(١) يقصد ملكة الكتابة

(٢) في ذلك إشارة إلى ما كان يفكر فيه من موضوع لتقصيده

(٣) غنى بلائكه (٤) من الملكة

جانب إقدامه رحيمته عظم صبره وصراة عزيمته !
وحق له أن يستريح من السياسة ومتاعبها ، وأن يطلب العزاء
في قيثاره وله في هوميروس من قبله أسوة ، وما يكون له بعد
ما حاق به عزاء إلا الشعر ، لعله يقضى منه مأرب صباه ومنزع
هواه بعد أن شغلته عنه الحوادث سنوات طويلة

ولكن البطل الضرب لم يكبد ينزع إلى الراحة ويستشفى
نظام الشعر ، حتى انبعثت سيحة جديدة من نفس المكان الذي
انبعث منه السيحة الأولى ، فنشر في هيچ كتاب جديد باللاتينية
سماه صاحبه « استصراخ دم الملك السماء على الخائنين من الإنجليز »
وأخذ مؤلفه يسخط على كرمول وجنوده في عبارات شديدة نجد
مثالاً لها في قوله : « إن جريمة اليهود بصلب المسيح ليست شيئاً
مذكوراً إذا قيست بإعدام شارل الأول » ؛ ثم راح يمتدح
سلاميس ويطنب في مدحه ويغلو في ذلك غلو كبيراً ؛ وبقدر
ما أسبغ على سلاميس من مدح كانت سهامه التي قذف بها
ملتن ، فهو عنده دودة تدب من كومة قامة ، وهو أخط من
القرود وأكثر ضالة من البقرة ، وهو أرنب فاجر وصملوك جائع
هزيل ، وإنه لجاهل طرد من كبرج لاستهتاره وتبذله . وفر إلى
إيطاليا للاحقه من عار إلى غير ذلك من عبارات أقل ما توصف به
أنها البذاءة في أشنع صورها وأرذلها .

(يتبع)

الحقيف

قريباً تصدر « مطبعة الرسالة » كتاب :

اللغات في القرآن

كتاب طريف نادر

يتضمن لغات خمسين قبيلة

من القبائل العربية وجدت في القرآن

لا توجد في مصدر آخر . .

رواية عبدالله بن الحسين بن حسنون المقرئ المتوفى ٣٨٦ هـ

حقته وصححه

صلاح الدين المنجد

مقطوعة وجهها إلى كرمول عنوانها « إلى اللورد جنرال كرمول »
ولم يك كرمول يومئذ قد سعى حاشي الجمهورية بعد ، وإنما كان
يسبيل أن يحمل هذا اللقب ، إذ كان ينظر إليه كأعظم رجل في
الدولة ، وأزعم شخصية لسلامتها إذ ذاك ، وقد نجحها بعد هزيمة
الملك مما كان يتخيفها من مهالك ، فأعاد النظام إلى إرادة
سنة ١٦٤٩ ، وهزم المسلمين في اسكتلندة سنة ١٦٥٠ والتي تليها
وأجبر شارل الثاني على الفرار إلى فرنسا ؛ وبذلك قبض على أزمة
الحكم في المملكة جميعاً ، ولم يبق يستدعي حكمته وهمة إلا
ما يتصل بالناحية الدينية ، فقد كثرت الفرق والطوائف التي
يخشى من اختلافها بعضها مع بعض ، فهناك تمازج شارل
الأول ، وهناك البرستيريترنم المستعول ؛ وترك بعض
الكنائس بغير رعاة من هؤلاء ، ولا من هؤلاء ؛ ودعا فريق إلى
أشراف الدولة على الكنيسة بحيث يتمشى النظام السياسي الجديد
مع نظام ديني يشاكله ، ورغب فريق آخر إلى القضاء على الكنيسة
الأنجليكانية ، أي كنيسة الدولة الباقية من عهد شارل ، واقترح
بعض المستقلين وضع نظام جديد لكنيسة لا يقبل فيها رجل من
رجال الدين إلا إذا أقر خمسة عشر مبدءاً أساسياً وضعها هؤلاء ،
وإذ ذاك لم يرض ملتن عن هذه القيود ، واحتاجه الحثين إلى
الدفاع عن الحرية ، ونجّاه السخط على هؤلاء الذين يريدون
شراً بالحرية الدينية في عهد الحرية السياسية ، فنظم مقطوعة يناشد
ملتن أن يتجه من شؤون الحرب إلى شؤون السلم ليدافع عن
الحرية الدينية في مهارة وجدارة ، كما دافع عن الحرية السياسية ؛
وكانما كان بين ملتن وبين القدر ثأر ، فلم يكذب يفتن بما
غشيه ويذهب عنه روعه ، حتى روع بموت وحيدة الطفل فأرخص
جوانحه الحزن ، وكان لا يذكر ولده أو يقع في سمة إشارة إليه
من قريب أو من بعيد إلا تبادر دمه فامتلات به عيناه الكفيفتان
فما استطاع — وهو القوى الجلد — أن يحبس به وضربه الدهر
ضربة أخرى ولما رقا دمه ، إذ ماتت زوجته بعد ابنها بشهر
وبعض شهر في يونيو سنة ١٦٥٢ ، وقد وضعت له أنثى فتركها
في سرير الوضع ووسدت التراب وهي بعد في السادسة والعشرين
وقد مضى على زواجها بملتن تسع سنوات ، وعاشت معه نحو
سبع سنوات بعد أن صلحت ذات بينهما

وهكذا تتوالى عليه المحن وتنوع صروف الدهر فتمحسه
وثبت نؤاده ، ويجمع في حياته بين وجهي الشجاعة ، فله إلى

حتى لأقبل غداة النصر على أعدائه من بنى هاشم بأسط اليدين
بالمنحة وبالمعز وهو يقول :

يا بنى هاشم : والله إن خبري لكم لمعنوح ، وإن بابي لكم
لمفتوح ، فلا يقطع خبري عنكم علة ، ولا يوصد بابي دونكم مسألة .
شك معاوية نهجاً من التسامح امتلك به القلوب ، وبقدرة
اطمئنانه على ملكه كان تسامحه وإغضاؤه ، وعلى حسب مقدرة
على الأخذ كان جنوحه إلى الإهمال والترك . يقول في خطبة له
مشهورة ألقاها بالمدينة عام الجماعة : « والله لا أحمل السيف على
من لا سيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه
فقد جعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي » .

وكأنما كان يخجل معاوية أن يحول بين أعدائه وما يتشبهون
من تناوله بالسيف ؛ بعد إذ تناولهم هو وجنوده غير راجين
طعناً وضرباً بأطراف الرماح وأسنة السيوف . ولقد دخل وهو
خليفة على صعصة بن سوحان العبدي - وكان سجيناً عنده -
فقال له صعصة في حوار بينهما غير راهب منه ولا خاش : أما والله
مالك في يوم بدر مضرب ولا مرمى ، وما كنت فيه إلا كما قال
القائل : « لا حالي ولا سيري » ولقد كنت أنت وأبوك في العير
والنغير ممن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وإنما أنت
طليق ابن طليق ، أطلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإني
تصالح الخلافة لطلاق ؟

فقال معاوية : لولا أني أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول :
قابلتُ جهلهمو حلساً ومغفرة

والمعز عن قدرة ضرب من الكرم

... لقتلتكم !

ولقد أسبغ معاوية عطفه على أهل الشام لسابق ماثرهم
عنده ، وزادهم على المعز واسع المطية وجيل الإقبال ، حتى لأفضل
مرة بمائة ألف على أبي جهم بن حذيفة حين قال له : نحن عندك
يا أمير المؤمنين كما قال عبد المسيح لابن عبد كلال :

نميل على جوانبـه كأننا نميل - إذا نيل - على أيننا
نقلـبه لنخـبر حـالـيـه فنخبر منها كرمنا ولينا
وقسم مرة قُطُفًا (جمع قطيفة) فاعطى شيخاً من أهل
دمشق قطيفة فلم تعجبه ، فخلع أن يضرب بها رأس معاوية .

الحلم والتحلم ...

للاستاذ محمود عزت عرفة

- ٢ -

« إنما العلم بالعلم ، والحلم بالتحلم ، ومن يتغير الخير
ببطء ، ومن يتوق الشر يوقه »

حديث شريف

معاوية بن أبي سفيان :

استبد معاوية بأمر الشام بعد إذ جنح إليه سواده ، وقامت
بنتصرته أجناده ؛ فنادوا بهم « علياً » على عرش الخلافة ، وأضرم
على أهل البيت وأبناء العراق من شيعة أمير المؤمنين نار حرب
عوان أعادت أيام الجاهلية جذعة بعد أن عفّت على ترأثها أخوة
الإسلام ، ومسحت جراحها يذ الشريعة السمحة . ومهما يكن
من شأن معاوية فلقد كان صحابياً جليلاً عاشر القلب بالإيمان ،
زاهر النفس بالورع والتقوى ، أشد ما يكون خليفة حديثاً على
الإسلام والمسلمين ، وأعظم ما يكون خشية على هذه النبوة
الناهضة أن تتصدع وتنهار ، وهو يرى جوائح الحرب تعصف
بقواعها وتتحيف من دعائها .

ولعله كان بسبيل أن يراجع أمر نفسه ، ويتدبر السبيل
للخروج بالمسلمين من هذا المأزق الذي التاثوا فيه عند ما قتل
« علي » بيد ابن ملجم ، فاستقر زمام الأمور بيد معاوية ، وتدلّت
إليه قطوف النصر ثمرأً جنيًا .

ولم يصعب عليه بعد ذلك أن يعالج أمر الحسن بن علي بما
يكفيه مؤنة قتاله ويدفع عنه شرّ خلافة ؛ فالتأمت صفوف المسلمين
وأغمدت سيوفهم ، وسمى معاوية هذا العام الجماعة^(١) وكانت
مرته بالثقة بما آل إليه أمر هذا الخلف ، ووقتته في مستقبله
عظيمة عظم قوته في حاضره ، ثابتة ثبات كفاحه في ماضيه .

(١) كان ذلك سنة ٤١ من الهجرة ، وقتل على سنة ٤٠ هـ .

اللاء إلى يده بعد أخيه فنهض بأعباء السكاج وحده ، وعنف على مناوئيه عنفاً شديداً حتى به أديهم وفنّ حدهم ، إذ كانوا من القوة ومن الكثرة — وهو الضعيف بجدة ملكه القليل بمدة أنصاره — بحيث لا تجدى مع مثلهم المهادنة ، أو تدفع من بأسهم المطاولة والمصانعة . كان ملك بني العباس كنيته غضة لا تكاد تنهض على ساقها لتأخذ حظها من الغذاء والثناء ؛ إلا أن يحيطها بسياج متين من القوة والبطش يرد عنها كيد الموثورين من بقايا آل مروان ، وثورة الحاقدين من شيعة آل هاشم ، وسائر من يترصون به الدوائر من العرب . ولم تكن قد تهيأت بعد لخلفاء بني العباس تلك القداسة التي حظوا بها على تطاول السنين ، وإنما كانت أكثر العيون تنظر إليهم كدعاهم ارتفعوا على طبقات السيوف إلى تلك المكانة العلية التي بلغوها ، فلا غرو إذن أن تكون طبقات السيوف وحدها هي التي تحفظ عليهم هذه المكانة ، وتقرها فيهم وفي أحفادهم من بعدهم^(١) . قال عبد الصمد بن علي العباسي المنصور يوماً : لقد هجمت بالقوية حتى كأنك لم تسمع بالصفو . فقال المنصور : لأن بني مروان لم تبطل رجهم ، وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم ، ونحن بين قوم رأونا أمس سوقة واليوم خلفاء ، فليست تتمهد هيبتنا في صدورهم إلا بنيران الصفو واستعمال العقوبة !

تلك كانت سياسة المنصور التي أخذ نفسه باتباعها مواجهة منه للمخاطر التي تهدد ملكه ؛ ولقد بعثته الريبة على أن يسطر يده بالعدوان إلى أقرب الناس إليه ، من وزرائه وخاصته وأعوانه فضلاً عن أعدائه والخارجين عليه . فاستقام للمنصور الأمر ، وعنت له لوجوه رغبة منها أو كرهاً ، حتى لمادت إلى نفسه — بعد حين تلك الطمأنينة التي تقي معها النفوس إلى جانب من الحلم والإسجاح ...

(١) يضاف إلى هذا أن استيلاء العباسيين على الخلافة كان ينطوي على الحياة لأبناء عمومته العلويين ، إذ كانت الدعوة إنما يبدأ باسمهم منذ عهد بني أمية حتى سلّمهم العباسيون حقهم فيها . ويدل على تبلور هذه الفكرة وشدة استيلائها على الأذهان ما حاوله المأمون فيما بعد من تحويل الخلافة إلى علي الرضا بن موسى الكاظم ، حتى صده العباسيون عن ذلك باتخاذهم محمد إبراهيم بن المهدي في بغداد ، وقد رجح المأمون عن رأيه وتخلّس من علي الرضا بطريقة غامضة ثم قدم بغداد ، فلادى به بأذنان فرلر حتى وقع القبض عليه عام ٢١٠ هـ .

فأثامه فأخبره . فقال له معاوية : أوف بنذر ك ، وليرفن الشيخ بالشيخ !

كان تحلم معاوية إذن تكفيراً لما سبق من ضروب الأذى أو وفاء لما مضى من سؤائف الجليل ... ولقد أراب ذلك كثيراً من المؤرخين — ممن سجلوا حوادث عصره — حتى لا يتهموه في هذا الحلم المتصنع ، ولم يشتوه له كفضيلة محمد عليها ؛ وكان ذلك إما حقدًا عليه وغمطاً لحقه ، وإما توسعاً في استنباط سريرة نفسه ، واستكناه بواعث تصرفه ؛ جرباً على سنة للتفلسفين والنقدية من أمثال الجاحظ ؛ فقد ورد في كتابه البيان والتبيين^(١) إنه قيل لشريك بن عبد الله^(٢) : كان معاوية حليماً ! فقال : لو كان حليماً ما سغه الحق ولا قاتل علياً ، ولو كان حليماً ما حمل أبناء العبيد على حرمة ، ولما أنكح إلا الأوكفاء . ثم يقول الجاحظ : وأصوب من هذا قول الآخر^(٣) : كان معاوية يتعرض ويحلم إذا أمتع ، ومن تعرض للسفيه فهو سفيه . وقال الآخر^(٤) : كان يحب أن يظهر حلمه ؛ وقد كان طار اسمه بذلك ، فكان يحب أن يزداد في ذلك .

وكيفما كان الرأي في حلم معاوية فقد وطد بهذا الخلق الكريم ملكه ، ومسح بيلسمه الجراح التي أسال دماها ؛ ولم يكن ليؤممه على هذا التصرف إلا غير مأفون ، أو زق أرعن سفيه ، وكذلك كان ابنه يزيد الذي عتب على أبيه يوماً فقال : لقد أفرطت في الحلم حتى خفت أن يعد ذلك جيناً (!!) فأجاب الوالد الحصيف : ليس مع الحلم ندامة ولا مذمة ...

أبرهه من المنصور :

بعد الناس أبا جعفر مؤسساً لملك بني العباس ، بما بذل في ذلك من همة وأتق من جهد ... لكن سيقه إلى تبوؤ عرش الخلافة أخوه أبو العباس السفاح ، ومن ثم يصطلح المؤرخون على تلقب أبي جعفر بالمؤسس الثاني للدولة العباسية ، ولقد أفضى

(١) صفحة ١٦١ من الجزء الثالث . طبعة السور .

(٢) كان شريك بن عبد الله النخعي عالماً فقيهاً تولى القضاء بالكوفة والأهواز أيام المهدي ، ثم عزله الهادي . وقد ولد سنة ٩٥ هجرية بمدينة بخارى وتوفى بالكوفة عام ١٢٢ هـ .

(٣) لعل الجاحظ إنما كان يعني نفسه بهذا الآخر الذي يحكى عنه .

ويحمر نخلهم . فقال له جعفر : يا أمير المؤمنين ! إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف قدر فغفر ، فاقتر بأيمهم شئت ، وقد جعلك الله من نسل الذين يعفون ويصفحون . فقال أبو جعفر : إن أحداً لا يعلمنا الحلم ، ولا يعرفنا العلم ! وإنما قلتُ همت ولم ترى فعلت . وإنك لتعلم أن قدرتي عليهم تمنني من الإساءة إليهم ...

وتحقيقاً لهذه الأغراض البعيدة نفسها كان عفو المنصور عن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ، فإنه كان ممن شق عصا الطاعة ، وداهن في شأن إبراهيم بن عبد الله العلوي^(١) .

فلما صار إلى المنصور أمر الربيع نخلع سواده^(٢) ، ووقف به على رؤس الخيامية في المقصورة في يوم الجمعة ، ثم قال : يقول لكم أمير المؤمنين ، قد عرفتم ما كان من إحساني إليه وحسن بلائي عنده ، والذي حاول من الفتنة والغدر والبغى وشق العصا ومعاونة الأعداء ... وقد رأى أمير المؤمنين أن يهب مسيئكم لحسنكم ، وغادركم لوفيكهم !

وحمل إلى المنصور عبد الحميد بن ربي بن خالد بن ريفدق فقال : لا عذر فأعذر ، وقد أحاط بي الذنب ، وأنت أولى بما ترى . قال : لست أقتل أحداً من آمل قحطية^(٣) بل أهب مسيئهم لحسنهم وغادرهم لوفيكهم .

وعفا المنصور عن عمه عبد الله بن علي بعد أن تمت هزيمته على يد أبي مسلم الخراساني ، واكتفى باعتقاله حتى مات في عيسته^(٤) .

وهكذا بدأ المنصور قاسياً شديد القسوة ، ثم تكلف من التحلم ما أفضى به إلى قريب من الحلم ، عند ما استتب له الأمر وبلغت الطمأنينة من نفسه مبلغها .

محمود عزت عرفت

(يتبع)

(١) أخو النفس الزكية . دخل البصرة وأعلن البيعة لأخيه ، ثم استولى على الأهواز وواسط . قتله عيسى بن موسى في موقعة باخرى ، لحس بقين من ذي القعدة سنة ١٤٥ هـ .

(٢) شعار الباسيين ومن على ولائهم .

(٣) كان قحطية بن غبيب الطائي أحد الدعاة الباسيين ومن تنبأهم الانبياء عشره عقد له إبراهيم الامام اللواتي يده ، وصرقه إلى أبي مسلم في خراسان (سنة ١٠٣ هـ) فأبلى في قتال الأمويين البلاء الحسن .

(٤) كان عبد الله بن علي والياً على الشام ثم تار عام ١٣٧ هـ ملجأ في الخلافة ، ولما هزم لجأ إلى أخيه سليمان بن علي بالبصرة فأسلمه إلى المنصور سنة ١٣٩ هـ ، وظل في سجنه حتى مات سنة ١٤٧ هـ .

وكأنما كانت نفس المنصور قد غثيت لمنظار هذه السماء التي أفاضها أنهاراً ؛ أو عادت إليه ثقته ووقاره بعد أن طاحت بهما رهبة الحوادث ، أو هو قد بلغ من نفسه هذا الزجر والتقريع الذي كان يلقاه به أمثال عبد الصمد بن علي من فضلاء أصحابه ، وذوى الرأي والنصيحة فيهم ؛ أو كأنما استشعر المنصور قلق الرعية من هذا الكابوس الجاثم فوق صدورهم ، ورأى مرجل الحفيظة والسخط يغلي في قلوب الناس فال إلى شيء من التحلم بقدر ما استراحت إلى ذلك نفسه ، وكان عجيباً — عند النظرة غير الدقيقة — أن يصدر مثله عن مثله !

ولعله كان لا يزال يمالج هذا الأمر من نفسه ، ويتكلف الدربة عليه ، ويتجرعه ولا يكاد يسيغه ... عند ما اعترضه المعترض في خطبة له وهو يذكر بالله تعالى فقال : أذكركم من ذكرتنا به يا أمير المؤمنين !

فكان من جوابه أن هسّ للاعتراض وبش ، وذكر الله واستماذ به ثم قال : وما أنت يا قائلها فوالله ما الله أردت بهذا ، ولكن ليقل قام فلان فقال ، فموجب فصبر ، وأهون بها من قائل لو كانت . وأنا أنذركم أيها الناس أختها ! فإن الموعظة الحسنة علينا نزلت وفيما ثبتت ... ثم أخذ بقاء سيفه وقال : إن يك داء هذا شفاؤه ، وأنا زعيم لكم بشفاؤه ، فليعتبر عبد قبل أن يعتبر به ، فما بعد الوعيد إلا الإيقاع ؛ وإنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله .

كان المنصور — وقد ظفر برؤوس أعدائه — لا يضيره أن يعفو عن أذنبهم ، وأن يضيق ثوب حلمه على من نهض مع الرؤساء من أوشاب الناس وعامتهم ، لأن إثم العاقبة لا يخلو من الظلم ، والعفو عن العامة — وهم سريمو النفرة سريمو الفينة — أقوم بأسباب الملك وأجمع لشمل الرعية ، وأكفل بتقدم الحياة وانتظام العمران .

قال المنصور يوماً لجعفر الصادق : قد رأيت إطباق أهل المدينة على حربي — يعني عند ظهور محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي فيهم^(١) — وقد رأيت أن أبعث إليهم من يموّر عيونهم

(١) يلقبونه النفس الزكية . خرج بالمدينة عام ١٤٥ هـ وقتل في رمضان من نفس السنة ؛ قتله عيسى بن موسى قائد جيش المنصور .

علوم البلاغة بين القدامى والمحدثين

للأستاذ كامل السيد شاهين

—•••••—

مدرسة الرسالة ، لها طابعها الخاص ، في المساجلة والنقاش على هذا أسست ، واستحدثتها الأيام بضروب من المحن ، فثبتت على الزعازع ، وانتصرت على الأغراض والآهواء . يعلم ذلك من تابع « الرسالة » منذ مولدها الميمون إلى حاضرها الزاهر . فالرسالة للجميع بلا تفضيل ولا إبطار . لأن البحث والدرس يلدان الحقيقة التي كانت نشدة أصحاب العقول منذ خلقت الفلسفة وبهما تقررت الحقائق وثبتت ، ولم يسهل فيها التضييل مع السافيات . إذا تقرر هذا ، فليسمح لي الزميلان : الطنطاوى والمهارى ، أن ألقت نظرهما في رفق إلى مزالق ما كنت أحب لها أن يتورطا فيها ، أو يتحدرا إليها فقد راع الأول أن يقول أستاذ البلاغة في الجامعة « الله يقول لنبيه : يا أخى أنت حارق نفسك ليه ؟ » . وراح يزعم أن هذا إشراك وكفر ، ويستمدى على الجامعة والجامعيين ، وبشير الناس ليداركو أبناءهم أن يجرفهم تيار الشرك والإلحاد !

بالله هوّن عليك يا على ! ، فليس تمت شرك ولا كفر ، وأنت أخبر الناس بذلك ، وأدراهم أن هذه الكلمة قد فقدت حقيقتها في أفواه الناس ، ألم تسمع إلى الفلاح يهز حمارة ، ويقول يا أخى سر ! أقرأه قصص أخوة النسب أو الرضاع ، أو الآدمية ، أو الحمارية . لا : إنما هي كلمة تحمّن وتمطف ! وشبه بهذا قول السائق لحصانه زياشيخ ! والنظار فى هذا أكثر من أن تحصى . فلا تُزعج ، ولا تستنفر وأبق على الجامعة والجامعيين ، ودع حديث الكفر والإلحاد فقد جنت مصر نمرأ مرأ فى دهر طويل ، كانت حربية أن تصرفه فيما يفيد ويفنى !

ثم اللغة العربية ، ليست لغة الإيمان والإسلام ، فقد سبقت الإيمان والتوحيد بقرون طويلة ، فإن أبيت إلا أن تخرج لغة مؤمنة مسيلة موحدة ، فدونك فاصنع دراستها فى كلية اللغة

ودار العلوم بمصر ، ودار العلوم ببغداد ، وأنشئ لك اللغة المباركة التى ولدت مسلة وشبت مسلة ، ثم أدعنا ، وإنا — إن شاء الله — مستجيبون ! وأظن هذه لمحة دالة فى علاقة اللغة بالإيمان والإسلام . فإن غمّمت فستفرد لها مقالا خاصا يضم الشئيت ويجمع التفرق .

وأما أنت يا عمارى ، فكنت بمنجاة من اللوم ، إذ عرضت للأسلوب الذى تدرس به البلاغة فى الجامعة فشكل امرى فيها يحاول مذهب ، وما كنت أحسب أنه سيفريك نقد الأسلوب بنقد الآراء ، فأما إذا انحدرت إلى هذا فهلم ! :
(١) تقول : « إن الفكرة التسلطة عليه فى هذا الفن أن يجعل لكل عبارة من عباراته منبعاً لمعان نفسية » .

إى نعم ، يا على ، أنت قرأت تعريف البلاغة ؟ إن الذى لا يختلف فيه اثنان هو أن البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال ولا أزيد بياناً ولا بسطاً ، ولكن هذه المطابقة لا تكون إلا بإدراك التكلم لنفسية السامع وما تحوى من ملابسات ، فهذا هو غوى كلام الأستاذ الخولى ، أفتأمرى فى هذا ؟ إذن فهات تعريفك أنت لعلم البلاغة فأنا منتظرون ! .

(٢) تقول : « أن الأستاذ لا يؤمن بالماديات المرفقة ، ولا يستحسن تشبيه الفرس بالثلج فى البياض » : فهو ذاك يا صاح ! فإنه لا يجمل إلا حيث يكون للبياض حزية كالمساعدة على الاختفاء ، وعدم ظهوره فى آل الصحراء ، فأما إذا لم تعتبر هذه الزية فلا فضل لأبيض على أبلق أو كيت ! وذلك هو ما قصد إليه الأستاذ من تنبيهه على تفاهة التفضيل المقتضى للتشبيه فى بيت ابن الزبير الأسدى .

(٣) غاب أستاذ الجامعة البتتين :

ولا زوردية تزهو بزرقها بين الرياض على حر اليواثيت كأنها بين قامات ضعفن بها أوائل النار فى أطراف كبريت وخلاصة العيب أن الشاعر شبه صورة بصورة فى الوضع واللون ، ولم يلتفت إلى ما وراء ذلك من إحماءات وأفاعيل ، ينتظرها السامع من شاعر !

وقد خالف عليه الأستاذ المهارى بأن الفن يوجد فى المعانى كما يوجد فى الماديات ..

ولكن نقول غلبت عليهما شقوة العصر وفساد الذوق ، وقوة
الفلسفة ! .

فكلام عبد القاهر في أن التباعد كلما زاد كان موجبا
لارتياح النفس ليس مطردا ، وليس أدل على هذا مما سفته لك
مثلا من تشبيه الدم بالخمر الأحمر .

(٤) وأما حسد جرير لمدى بن الرقاع العامل عندما أنشد :
ترجى أغن كأن ليرة روقه قلم أصاب من الدواء مدادها
فناحيته أنه أعرابي لا يعرف القراطين ، ومحاربا وأقلامها ، فظن
جرير أنه لن يهتدى إلى شيء يشبه به روق الأغن ، فلما أصابه
حسده جرير . ألا تراه يقول : « قلت : قد وقع ! ما عساه يقول ؟
وهو أعرابي جلف جاف ! » .

فأنت قد وقعت — يا على — في سيرة حسد جرير ،
ولم تدركه ففاننت أنه إنما حسده لأنه كان تشبيها بارعاً مصيباً له
تأثيره وجماله ، وما هو بذلك .

طاهر السمر شاهين
مدرس بالمدرسة الأميرية

(القاهرة)

كتاب الخصائص

قررت دار الكتب المصرية بيع الجزء الأول من
كتاب الخصائص لابن جني ، وهو مروض للبيع يومياً
وتمن النسخة الواحدة مائة مليم للأفراد وثمانون مليم
لباعة الكتب .

الجامع لأحكام القرآن

وقد أتمت طبع الجزء الخامس عشر من كتاب الجامع
لأحكام القرآن الكريم لابن عبد الله أحمد الأنصاري
للقرطبي وهو مروض للبيع يومياً و تمن النسخة الواحدة
منه ٤٥٠ مليم للأفراد ، ٤٠٠ مليم لباعة الكتب .

وليس هذا بالكلام يُصنئ إليه ، فالماديات بحثة لا تأثير لها
وإنما التأثير لما يتعلق بها من معانٍ ، وأما قلت : إن تماثل الزهرة
كالزهرة كنت مشبهاً تشبيهاً مصيباً مؤثراً ، لا إنه لاعتبار إلا
لما يوحيه ويستلزمه هذا التشبيه من دقة الصناعة والمهارة في
المشاكهة بين زهرة الورق أو الصلصال وأختها الطبيعية الحية .

ياسيدي : إن مثل التشبيه في البيتين في خلوه من الروح
كمثل من يرى بعماء من دم قتييل أو طائر منشورة على الرمال ، ثم يسير
فيجد خرزات حمراً مستديرة فيفجأ السامع : أندري ؟ ! إن يقع
الدم التي رأينا كهذه الخرزات احمرارها . احمرارها ، واستدارتها
استدارتها ، وحجمها حجمها ، وانتشارها على غير نظام انتشارها !
أفيمعجك هذا ويكون تشبيهاً غريباً عجيباً مصيباً مستحقاً
للإطراء والثناء ؟ !

أحسب أن لا ! .

ذلك أن السامع حين يذكر الدم تترى الرهبة والإشفاق
والرثاء لصاحب الدم المطلول ، وحب التشفي عن سفكه ، ولا
يخطر له ببال أنه مستدير أحمر منشور على غير نظام .

فشل هذا التشبيه عبث ولفو وشعبدة ، وسقوط بالقيم الفنية
للشعر إلى حد سخيف ! .

وهمة أهمها ، لا بل مججلة أعلنها لا بتردد ولا هائبا ،
تلك : أن الثقة بأذواق النقاد القدامى يجب ألا تطرد ، وأن
استشهادهم يجب أن يكون موضع نظر جديد ، وأن الاستشهاد
بآرائهم يجب أن يمرض على عكس التحريض . ذلك بأنهم — على
جلالهم — قد شغلهم ذوق العصر ولم تستقم في أذواقهم اللغة
غضة طرية ، عطلا من زينة وحلية ، وأثر البيئة أثر جليل في
الأذواق والمقول ، ومن ثم كانت تفاهة الاستشهادات ،
والتخريجات ، وكان لجوؤهم إلى الفلسفة والناحية العقلية هرباً
من الناحية الذوقية ، ففاسوا بالشبر والقيراط ، واتخذوا المبالغة
أساساً للتفضيل ، ولم تظهر لهم الزينة في القوة والمذوبة والسلاسة
والنعم فطلبوها بالصَّبْغ والألوان والشمعة اللفظية . إذا ثبت
هذا فأعفى — عافاك الله — من استحسان البلاغيين ، وعدم
استحسانهم ، فنحن نسأل الدواقين من أمراء البيان . فطه حسين
والزيات ، والعقاد ، وأحمد أمين ، و خليل مطران ، أولئك
المحكّمون ترضى حكومتهم . فأما السعد والخطيب فلا نبيهما

جنازة...!

للأستاذ عثمان حلمي

—♦♦♦♦—

ولقد تمت نحي جنازة راحل
ووقفت فيمن شيموه بساحة
الراقدون بنهبها تحت الثرى
والناغون بها ولا من موقظ
ستر التراب عن العيون بلاءهم
وسرى البلى فيهم فلم يترك لهم

غير العظام عليهم كدلائل
فمجيئ للإنسان كيف يفره
لما نظرت إلى اللحد وكما طوت

من عالم جم الذكاء وجاهل
أو ذى يسار جنب عاف معيد
ضم التراب شتاتهم فأواخر
لم يجزع الأضداد قرب مبابين

فيه ولا الأسباب بعد مشاكل
خلطوا فتلك على الزمان جاجم
وتفتتوا حتى تحال جميع ما
وقرات ما كتب الألى فوق الألى

دفنوه -- من خلة وشماثل
أحسست أنى قد دفنت بجنبهم

ما كان بي من غيرتى ودخائل
ومضى الذى قد كان أنقل مهمجتى

من كل هم بالتواقة شاغلى
أنظر فهذا دون طرفك ثاكل

بيكى ابنه واعذر فؤاد الشاكل
وابن هنا بيكى أباه وأمه
ويدسه معنى الفرور الشامل

ولسوف يتلوا نعيه نعيهما في ذات يوم للنساء ممائل
وتقرّب الأيام بينهم إذا وصلوا نبأاً نحو هذا الساحل
من مات هذا اليوم ساوى من قفى

في موته أيام دمر كامل
أنظر فهذا القبر كاد لطول ما هجره يبدى لهفة التسائل
أين الذين بكوا عليه وما لهم شخّوا فما زاروه زورة باخل
معت الألى الى كل وجد منهمو

والبين أبرا كل حزن قائل

عثمان حلمي

وزارة المعارف العمومية

إدارة التوريدات

الناقصات العامة

إدارة منافسة

تقدم العطاءات بعنوان حضرة
صاحب العزة وكيل المعارف المساعد
بشارع الفلكي بمصر بالبريد الموصى عليه
أو بوضعها باليد بمعرفة مقدميه في داخل
الصندوق المخصص لذلك في إدارة
المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة العاشرة
من صباح يوم ١٩ / ١٠ / ٤٦ عن
توريد خراطيم كاوتشوك للوزارة .

ويمكن الحصول على شروط وقائمة
الناقصات المذكورة من إدارة التوريدات
بشارع الفلكي بمصر نظير دفع مبلغ



القاهرة الجديدة

للمؤلف نجيب محفوظ

بقلم الأستاذ ثروت أباظة

—>>><<<—

قصة رائعة من صميم الحياة المصرية وضعها الفنان الموهوب الأستاذ نجيب محفوظ ، وقد استهدفت فيها عدة آراء غالجها بأسلوب يتفق وكل رأى ، فهو ساخر حيناً ؛ جاذباً حيناً آخر ، رائع في الحنين . والأستاذ نجيب ريشة لا تخطئ النامة الخالصة في شخصياته ، وهو واثق من فنه فتراه لا يقصر هذه الريشة على شخص واحد بل يطلقها على أشخاص كثيرين يرسمهم فتمتعهم وتميش معهم ونحس إحساسهم فتصبح نبراً مع الشرير خيراً مع الخير مندفعاً متاجباً مع المندفع المتأجج .

وشخصيات الرواية مركزة في أربعة شبان وفتاة . أما الشبان فتجسمهم رابطة الدراسة في الجامعة فهم جميعاً في اليايانس كما يجتمعهم اتحاد السكن . ثم تشعب بهم مسالك الخلق فلا مؤامة ولا انسجام ؛ فأحدهم — وهو من طارده الأستاذ نجيب وجعله بطلا لقصة — شاب في الرابعة والعشرين من عمره ذو منبت يابس وتربية ضيقة تأصلت في نفسه ، واجتمع الفقران ، ففدا ولا أصل يتكئ عليه ، ولا مال يتستر به . فكفر بالأخلاق ، وأصبح مثله الأعلى « طظ » التي يلجأ إليها كلما اكفهرت الحياة وأغلقت شبابها دونه . « فطظ » في الأخلاق ، « وطظ » في الفضيلة « وطظ » في القوم ، وليس « طظ » في شيء واحد هو نفسه ، وعلى هذا النهج سار ، وعن طريقه وصل إلى زوجه وهي فتاة القصة ، وعن سببها تم تعيينه . فعن عشيقته موظف ضخم ، زلّ وأراد أن يتهاوى فأتخذ من « الطظ » ستاراً . قبل قاتلاً : طظ ...

وهذه الفتاة هي ابنة بائع سجائر مواجه للجامعة ذات أم عاهرة ، ووالد من حزب الطف محتاج إلى المال فخرض ابنته لتأتى له به . فتمنعت أول الأمر ، وانصاعت لحب عفيف بينها وبين أحد الشبان الأربعة هو على ... شاب جميل ذو أصل ليس بالهين ، ومال يكفيه ذلة السؤال ، له آراؤه الملحدة ، ولكن عن عقيدة ، وله أيضاً مشله العليا التي يسعى لتحقيقها ؛ فهو اشتراكي يفخر بفنائه واشتراكيته ، ولا يمنعه الإلحاد ولا الاشتراكية من أن يكون عفيفاً في حبه ، قوياً في خلقه ذا نجدة عند الشدة ، وهو بعد صافي القلب لا يعمل ضمنية ولا موجدة على عكس زميله محبوب طظ ... أحببت إحسان علياً وإن لم يملك الحب لها ، وأحبها هو وتمسكن الحب منه ، واسكن ما لبث أن نجح في حبه حين تعرض لفتاته الموظف الضخم الذي أغرى بماله ... فطمع والدها ، وشجع ابنته ودفعها فسقطت وحاولت أن تقنع نفسها أنها إنما تضحي من أجل والديها وإخوتها ... سقطت ووجدت زوجها شاباً ساقطاً لا ضمير له ؛ عرفته أيام كان تلميذاً . فهو صديق لعل ، وهو بعينه الأستاذ محبوب طظ الذي لا مانع لديه من أن يفدى قرنين يبتان في رأسه مادام في الأمر منفعة له ، وطظ في الكرامة ... تزوجت عجوباً وعُتِنَ وارتفع وما زال في ارتفاع سادراً عن كل شيء غير معنى بأبيه مدقع الفقر الذي أعياه المرض فقمع عن العمل ، ومحبوب مادام لا يهيمه الوالد فالأصدقاء لا قيمة لهم ، ولتقطع وشائج الزمالة ، وليغضب مأمون للأخلاق ما شاء ، وليحزن على حبيبته مادام محبوب ، يرتفع كل يوم ... وفي نشوة الارتفاع ركل محبوب سالكاً الأخشيدي ، وهو الذي قدمه إلى الموظف الكبير ، وقد كان أثيراً عنده قبل أن يأتي محبوب فانتقم الأخشيدي لنفسه ، ودبر المؤامرة فعصفت بالموظف الكبير ، وكان قد أصبح وزيراً ، وعصفت بمحبوب وزوجه فذهب وكأنا أراد الأستاذ نجيب أن يهمس في أذنه : « طظ في طظك ، ولتجى الأخلاق ! » .

أما مأمون فشاب ملؤه الإيمان بالدين وبالفضيلة المربية أخره المرض وهو طفل عن الالتحاق بالمدرسة ، وعند ما التحق أخذ نفسه بالشدة ، فكان الأول دائماً ، وكانت حياته سائرة على

نفحات من سيرة السيدة زينب

إن أعصى ما يتكاد المصلحين ، تلك العادات التي امتزجت بدماء العامة ، والقصائد التي أشربتها نفوسهم ، فتمكنت فيها على مر الأيام .

وإنه إن الجهل والسفاهة ، تحدى هذه العادات والمقائد ومما اجتهدت في عنف ، بل الواجب علاجها بالحكمة ، والاحتياط لاقتلاعها ؛ أو توجيهها وجهة نافعة .

وقد اتخذ الأستاذ أحمد الشرباصي في كتابه « نفحات من سيرة السيدة زينب » خطة جديدة في « التربية الشعبية » ودرج على غير المنهج المتبع في الثورة بمقائد الناس . بل تناول مسألة الموالد ، والأذكار ، والتوسل ، والتشيع ، والتمسح بالأضرحة ، والنذور ، بروح جديدة ، هي روح عالم النفس الحاذق ، هي روح « الإعلاء » التي تعالج بها الفرائز وتهذب ، ويحد من جموحها وطفوها ، وتجعلها أداة صلاح وخير .

والكتاب بعد ذلك عرض تاريخي أتيق لحياة هذه السيدة الكريمة ، وتوجيه نافع للشباب الذي يريد أن يحيا حياة طيبة ، ولا يستخذى أمام القوى الطاغية ومثل عال في التضحية والجهاد . فللوعاظ والمرشدين وللمؤرخين المعنيين بتحقيق حياة الشخصيات الإسلامية البارزة ، ولمن يريد أن يتهدى بهدى جديد في التربية الشعبية ، ولمن يبتغي الأسوة والقُدوة في حياتهم عزة النبي الكريم .

لهؤلاء جميعاً وضع هذا الكتاب ، جامعاً بين دقة البحث ، وطلاوة الأدب ، وتأثير الوعظ واستخلاص العبر .

طامل السبر شافعي

نظام رتيب ، وإنك لتجد كل خيس ذاهباً إلى مصر الجديدة حيث خطيبته التي تزوجها بعد حصوله على الليسانس وسافر معها إلى باريس في بثة عليّة .

وأما الرابع فهو أحمد طالب صحفي لا يلعب كثيراً على مسرح الرواية ، ولا نعرف له رأياً لأنه صحفي والصحفي في رأيه — ولعل هذا هو رأيه الوحيد الذي أذاعه — لا يصح أن يقول رأياً ، وهكذا اجتمع هؤلاء الأصدقاء وليس من سبب يجمعهم سوى درس في الصباح ومسكن في المساء .

ولا يقتصر الأستاذ نجيب على هؤلاء بل هناك أشخاص كثيرون غيرهم كوالديّ محبوب وحمد يس بك وأسرته ذات الماضي المتواضع ، والحاضر الاستقراطي ، وإن لمحبوب معها لشأننا في حال فقره وغناه ، وهناك أيضاً جامعة أعقاب السجائر التي أبرز الأستاذ لها صورة واضحة تلمسها في وصفه لها وحديثها هي مع محبوب فتسمها تقول : وجب ، وغير ذلك من ألفاظ تكمل الصورة وتوضحها ، وهناك عفت وغيره من أصدقاء محبوب في أيام المز ... تمر الريشة على كل هؤلاء فتبرز معارف وجوههم وخلجات نفوسهم قابضة بإحساسهم غير مغفلة شيئاً . وتدور حوادث القصة في سنة ١٩٣٠ ، والناحية القصصية فيها أبرز منها في قصة خان الخليل وقد كانت هذه الأخيرة أشبه بمعرض صور رائع منها بقصة ، وإن لم يفقدها هذا شيئاً من رونقها وقوتها ...

وواضح أن الأستاذ نجيباً أوجد علياً ومأموناً وأحمد في قصته الجديدة ليثبت أن الأخلاق وإن هتكت عند محبوب فهي مصونة عند أصدقائه ، وقد تعرض الأستاذ نجيب في قصته هذه لنواح اجتماعية عديدة بغض من رونقها كثرة ترادها إذ نحن الآن في حاجة إلى العلاج أكثر من حاجتنا إلى الشكوى ، وإن بالقصة لفتات فنية رائعة تنتظرها من الأستاذ نجيب الذي خطا بالقصة المصرية خطوات واسعة نحو الكمال ، وهذا أمر لا نستغربه عليه فهو فنان موهوب بفطرته جشع في القراءة العربية والغربية ... وعسى أن لا يتأخر إنتاجه القادم . فنحن في شوق منتظرون ...

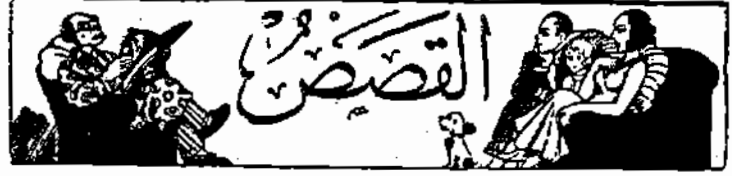
مروى أباظة

طبعة « الرسالة » قدم قريباً :

الطبعة الثانية من كتاب

في أصول الأدب

للأستاذ أحمد حسن الزيات



لا قدر الله ... !

لروائي الانجليزي أوسبرت سيتويل

—•••••

لست أعرف بعد كيف ستتضح هذه القصة ، فإن مأسا قصه عليك إنما حدث صباح أمس ، قبل أن أغادر السفينة في السويس . جلست على كرسي طويل من القماش ، وإلى جانبي أكداش من الكتب وصحفة حساء فارغة ، أتناول ببصرى إلى الفضاء المكلل بالنعام ، الفضاء الخاوى الذى لم يخفف من وطأته على الصدر صمك بتوائب فيسلى المسافرين . بدا كل شيء دفيئاً رطباً بالغ الرطوبة . وكانت حافة السماء تتدلى منها أعلام مهلهلة من السحب ، وقد ذابت فيها حافة البحر . وكان الرجل الجالس بجوارى قد بسط على حجره كتاباً مفتوحاً ، وإلى جانبه أيضاً عدة كتب ، وكان هو الآخر يحمل بنظرة ثابتة إلى المنظر المائى الخاوى . كان البحر يثير روحاً من الكآبة والاعتماد ، لا يساعد على احتمالها إلا ما تبعثه في النفس من الفتور والكلل ، وأنها توجل اليوم في الميوم فتحمل أناسا كثيرين على الاعتقاد بأنهم لا بد قد تمتعوا بالرحلة ما دام الوقت قد مر بهذه السرعة . كان من الواضح أن هذه الروح الكئيبة المنتمة تخيم على وعلى جارى أيضاً . كان جارى طويل القامة نحيفاً دقيق اليدين ، وكان يبدو على خلقته حساسية بالغة الارهاق ، وساءلت نفسى من تراء يكون ... لم تكن الكتب التى بجواره تساعدنى على إجابة هذا السؤال ، إذ كانت متنوعة : ترجمة لمجموعة شعر إنجليزية ، ورواية عصرية ، وكتاب على ، ودراسة لسيرة أحد السياسيين ، ومجموعة من القصص القصيرة الحديثة . ثم لاحظت معها كتاباً من كتبى ، وهو ذلك المسمى « الرجل الذى فقد نفسه » وبفتة حوّل عينيه عن الماء وخطبتي قائلاً : « أحب البحر؟ » . فأجبت : « نعم أنا أحبه ، نوعاً من الحب ، على الرغم من ملاله ، وما

يبحث في لسوء الحظ من العرب . إننى بحارماهر ، ولكن حين يتمدد الآخرون في فرشهم الخشبية يتمنون لو أنهم يفرقون ، أتمدأنا على فراشى الخشبى ، مرتدياً جميع ملابسى ، أبتهل إلى الله لا أغرق ، وأفكر في الخضم الشاسع من المياه الذى يتلاشى فيه رأس الإنسان فلا يكاد يكون شيئاً . ذلك هو السبب في أننى أفضل البحر الأبيض المتوسط ، حيث نكون عادة على مرأى من البر ... لكن يبدو أنه قد اختفى كلية في هذا اليوم ... بل ليقنى أبلغ قناة السويس ، فإنى أرتقب أن أحظى بوقت ممتع » . قال : « نعم أنا أعرف هذا الشعور ، فإنه يداخلنى أنا أيضاً بعض الشيء . وما دمت أنت كاتباً ، فأقص عليك قصة عنه ولكن أرجو ألا تكون نحن يؤمنون بالطيرة والقال رعا لا تستحق هذه القصة أن تسمى قصة في واقع الأمر . هي شاهد أكثر منها قصة ، أو هي برهان على إحدى النظريات ... هذه النظرية ، أو الفزى ، هي تلك النظرية القديمة البديهة التى شغف أحد الروائيين المحدثين بترديدها ، وهي أن ما تشعر به يكون أشد صدقاً ، ولا بد أن يكون دائماً أشد صدقاً ، من مجرد الفكرة التى تدور بخلدك . أو بعبارة أخرى ، اعتمد في حركك على اللس ، لا على البصر . ولكن الناس في هذه الأيام تغوزهم الشجاعة التى تجملهم يعملون كما يشعرون ، فهم يعملون طبقاً للعقل ، ثم يحاولون أن يخرعوا تفسيراً منطقياً فيما بعد ، يفسرون به الأشياء الغدزة التى تحدث لهم . لكن لا جدوى من وراء هذا مطلقاً كانت السفينة مبحرة إلى أمريكا الجنوبية . غادرت تلبرى في عصر يوم ممطر من أيام ديسمبر ، ولكن في اليوم التالى كان البحر هادئاً كأنه بركة زرقاء في فصل الصيف . واستمر كذلك ثلاثة أيام ، حتى عندما عبرنا خليج بسكاي . ولكن برغم هدوء البحر تأخرنا عن الوصول إلى لشبونة ، حتى إذا وصلنا إليها أخذ موظفو الميناء يتجادلون جديلاً لا ينتهى ، كأنهم عقدوا العزم على أن تأخر عن الاقلاع من الميناء . وقت أرقب المسافرين النازلين وأستمع إلى الشاجرة البرتغالية الصاخبة تعلو وتتناثر كأنها صواريخ مبتلة ، بين وكيل السفينة وأحد موظفى الجرك ... لم يكن بين المسافرين الجدد من يلفت النظر إلا امرأة إنكليزية وزوجها . كانت جميلة حقاً ، ولكن جمالها كان من

نوع عجيب ، كأنها إلهة القدر الاغريقية . كانت عينها واسعتين ذواتي زرقة عميقة ، يمكن أن تقرأ فيهما معاني كثيرة ، أحدها صادق وكثير منها كاذبة . كانت قسماؤها المذعورة الحجرية كأنها تمثال كلاسيكي ، يمكن فيه شيء من المأساة . ثم إنى فلنت أو الأخرى أن أقول أحسست — أن بقسماتها شيئاً من حورية البحر . إذ انتمت عينها إلى البحر ... كان زوجها إلى جانبها يبدو عادي المظهر . لكن منظرها الفذ كان مقتصرأ على عيائها ، أما ملابسها فكانها اختيرت بحيث تعجز الأثر الذي يخلفه جمالها العجيب ، ونحط من سموه ونجمله عادياً مألوفاً .

في الصباح التالي كنت جالساً على ظهر السفينة ، كما أنا جالس الآن معك ، فوجدتني مجاوراً لها . وبعد أن عبثنا برهة بكتبنا عبثاً يشابه في اضطرابه حركة السفن واهتزازها — حقاً إن هناك رابطة قوية بين دوار البحر والكتب المطبوعة — بدأنا نتحدث قليلاً ، وحين تحدثنا لم يتركنا في النفس أترا غير عادي ، وكان صوتها هادئاً مليئاً بالاهتمام ثابت النبرات وإن كان فارغاً بعض الشيء ، ولم يكن به أي عنصر غريب من المأساة أو من النبوءة . ولكنني رغم ذلك عرفت ، بل شعرت وأحسست ، بأنها كانت تصلها بتلك العناصر الغريبة صلات وثيقة . نجادنا أطراف الحديث ساعتين أو أكثر ، وكان البحر قبل ذلك هادئاً كاللبساط ، ولكنه بدأ في خلال عمادتنا تظهر عليه علامة التنوير الأكيدة . وكأنه كان يحاول اختبار قواه ، ليستخدمها في مناسبة مقبلة . فصغرت في جنباته رياح هينة ، وأخذت السفينة هزة أثارت المزاج والضحك المبهودين بين الشبان من المسافرين الذين كانوا يتنقلون على ظهر السفينة في جلبة ، وضاعفت من حماسة اللاعبين في لعبهم المختلفة ، فازدادوا صرخاً ، حتى يخفون ما يشعروا به من بداية التفزز والنشأة ... تسألني عم كنا نتحدث ؟ ... قد نسيت ، ولكنها كانت أشياء مختلفة ، من السياسة ، والأسفار ، والكتب — الكتب البريئة المملة .

ولكن كلما مرت دقيقة ازداد التحدث صعوبة ، إذ ارتفعت بين آونة وأخرى أصوات الأشياء المتصادمة ، وازدادت الريح دويًا ، وإن كان الركن الذي اتجهنا به محمياً هادئاً بعض الشيء ...

أخبرتني أنهما كانا ذاهبين إلى بونس أيرس ، حيث يمكن أن أسبوعاً ، ثم يعودان إلى وطنهما مباشرة . فإن المحتر روفني — وهذا اسم زوجها — كان مريضاً ، وقد نصحه الطبيب بالقيام بهذه الرحلة البحرية . وقال الزوج : « لقد حاولت أن أثنى زوجتي عن المجد ، ولكنها ألحت . أنا لم أعرك بالمجد ، يا حبيبتي ، أليس كذلك ؟ لقد بذلت كل جهدي لمنحك » .

كلا ، لست أستطيع أن أتذكر كل الحادثة بحلا ، وإنما أتذكر شيئاً أو شيئين من هذا القبيل . أتذكر المزر روفني تقول ، بصوتها الحازم الذي لا يقبل أي سخف أو عبث ، والذي كان مع ذلك فارغاً بدرجة عجيبة ، ذلك الصوت الذي نطق بالأشياء كأنه لا يعنيه — أتذكرها تقول : « مهما يكن من شيء ، فأنا مؤمنة بالقضاء والقدر . أنت لن تستطيع النجاة مما سيحدث لك فهذا هذا ، وما عليك إلا أن تتقبله بأحسن ما في استطاعتك . لن يستطيع ثعلب أن ينجو إلى الأبد ، إذا كانت كلاب الصيد تطارده » ... أنا أتذكر ذلك جيداً ، فإن هذه الملاحظة ، رغم أنها شيء مبهود طالما سمعناه على الرغم منا ، ضايقتني إذ ذاك أشد مضايقة ، حتى كدت لا أكتب سخطي ؟ إذ وجدتها لا تنسجم مع ذلك الجمال العجيب ، أو ذلك الوجه الذي كان يبدو مترقياً لأحد الانفعالات العاطفية المظلمة — وكنت واثقاً أن هذا الانفعال هو الخوف — فما يجيء هذا الانفعال حتى يصير ذلك الوجه آية رائعة من التعبير ... ولكن ما أكثر ما ينطق الناس في هذا المجال بأفكار تحجب ظن المرء إذ لا يجدها تنسجم معهم ... ثم إنها استرسلت تتحدث عن الأسواق في مقاطعات انكلترا ، وأسملت نفسها إلى نويات طفيفة من الاعتداد بالذات لم تنسجم معها أيضاً .

ولكنني ساءلت نفسي في ذلك الوقت : أكانت تلك حقاً نويات من الاعتداد بالنفس ؟ لقد شعرت بأنها أدخلتها في الحديث لا لتحدث وقفاً على نفسي بل لتدخل الراحة والاطمئنان على نفسها هي . فإن مثل هذا الاعتداد بالنفس يرتبط بالحياة اليومية ، والحياة اليومية هي عادة خالية من البطولة والبسالة ومن النكبات والمآسي ، كما أن الأفكار التي عبرت هي عنها كانت أفكار الحياة اليومية العادية . وقد تشبثت هي بهذه الأفكار لأنها

لا بالطعام ولا بالشراب ولا بالنوم ولا بالسافرين : ولكنى لاحظت مع ذلك أن المستر روفنى جلس إلى طعام الغداء وحيداً ... وفى الصباح التالى بدأ كأن الزوجة قد هدأت قليلاً ، وفى أثناء تجوالى على ظهر السفينة قابلته .

صحت بحماسة كاذبة : « صباح الخير ... كيف أنت فى هذا الصباح ... يؤسفنى أن أراك وحيداً » .

فأجاب : « نعم إنه شئ مقلق . كم تمنيت أن يكون الطقس لطيفاً ... فإننا تقترب من ماديرا الآن ، وينبئ ألا يكون الطقس هكذا ... إننى أسأرك بأن يزججنى ... ليس ذلك لأن زوجتى غير متمودة على الأسفار البحرية — فإنها الآن لا تنصر بالدوار — بل الحق أن الرعب يملكها فى أى سفينة ! »

قلت : « ليس هذا شيئاً مخجلاً ، فإننا أيضاً مرتعب ... وأعتقد أن كثيرين جداً من الناس هم أيضاً كذلك ، لو أنهم اعترفوا بالحقيقة ! »

أجاب : « قد يكون هذا صحيحاً ... ولكن الأمور تختلف بالنسبة إليها فإن آخر رحلة بحرية قامت بها كانت فى (التيتانيك) وقد غرق أخوها التوأم مع تلك السفينة ، ولم تنج هى إلا بمعجزة ... ولستين عديدة رفضت أن تركب سطح سفينة على الإطلاق ، بل إنها أبت أن تقوم برحلة القناة الانكليزية التى لا تستغرق إلا ساعة واحدة ، مع أنها قبل ذلك كانت مغرمة بباريس ... وسأذكر لك شيئاً غريباً : قد يكون البحر هادئاً بالغ الهدوء ، ولكن ما تكاد تضع قدمها على سطح السفينة حتى تبدأ الزوجة ، بداية لا شك فيها . لقد شاهدت ذلك يحدث فى القناة الانكليزية عشرات المرات ، حتى إننى كثيراً ما تمنيت أنى لم أحملها على تغيير عزمها والهجى معى ، حتى لتلك المسافة القصيرة ... ما كان ينبغى أبداً أن أسمح لها بالهجى فى هذه الرحلة ... كان ينبغى أن أحظر ذلك حظراً باتاً ، من البداية ... ولكنها كانت قلقة البال على — فقد كنت مريضاً زمناً طويلاً ، وأولئك الأطباء الملاحين قالوا إن رحلة بحرية طويلة هى الشئ الوحيد الذى يرد إلى العافية — فألحت هى وأصرت . ولم أستطع منعها ، فقد بدا كما لو كان من المحتم أن تجي ، وإن ارتاعت هى من ذلك ، لو كنت تفهم ما أعنى ... »

كانت تنوق أشد نوق إلى أن تتفح نفسها بأن حياتها ليست فى حقيقتها إلا من ذلك النوع المادى ، وأنه ليس من وجود فعل لتلك النكبة العظيمة والمأساة القديمة التى ترتبط بها والتى هربت منها . فكل فكرة عبرت عنها ، وكل مناسبة أشارت إليها ، كانت كأنها تقرص تنسها لتؤكد من أنها صاحبة ومن أن الكابوس الخيف قد زال ...

ازداد الطقس اضطراباً ، ولم أرها بعد ذلك فى ذلك اليوم . فقد تضاعفت حدة الزوجة فلم يعد أحد ليجد متعة فى الرحلة البحرية . بل لم يعد من استطاع أن ينام المرة ، وإن كانت الزواجر فى العادة تجملنى أستغرق فى النوم . فإن طرق عينيك السبات لحظة واحدة فى الليل فلا بد أن يوقظك فى الحال صوت الأبواب تفتح وتغلق وتصادم ، أو يوقظك إحساس عجيب بأن الروح نفسها ، تلك الذات النفسانية التى بنى حولها الجسد ، قد تنقلت من مقرها بعض الشئ ... يسائل المسافرون أنفسهم ، كمادتهم فى خلال رحلة بحرية : « لم قمت بهذه الرحلة ؟ » ولكنى لم أشعر إلا بشعور واحد ، شعور طالما أحسنت به فى المحيط الأطلنطى ، وإن كنت قد قمت فيه برحلات كثيرة لم يكن عنها من بعيد ، ذلك الشعور هو الرعب . لم يقلبنى دوار البحر ، وإنما شمرت بالرعب من تلك الأودية الباردة فى أعماق المياه تحت سطح البحر ، تلك الأودية اللانهائية المنحرجة التى أخبرنا بأنها فى عمقها تماثل جبال البر فى علوها ... وبهذه المناسبة (ساعنى لقطى جبل قصتى) لم يزد الطقس اضطراباً منذ بدأنا حديثنا ، أم ليس هذا إلا وهما من أوهام تخيلتى ؟ »

فأضطرت إلى أن أعترف بأن الطقس قد تغير ؛ فقد بدأت السفينة تترنح بصورة غير منتظرة .

« لقد ظننت كذلك » قال ذلك وتوقف برهة ، ثم استرسل : « على أية حال ستكون القناة هادئة ... ولكن لأستمر فى قصتى : من حسن الحظ أنى كنت سأغادر السفينة فى ماديرا ، ولم يكن دونها إلا رحلة يومين . ولكن كم تشوقت إليها فى ذينك اليومين ، تلك الدرة البديعة المستقرة فى وسط المحيط تحت غطاء سحب الأطلنطى ... »

كان اليوم التالى شيئاً للغاية ، بحيث لم يعد المرء يهتم بشئ ما

وإذن فهذا هو السر! لا غرابة إذن أن تكون مرتاعة، حتى على أشد اليبس سخولة. تذكرت تلك السفينة الفاخرة في رحلتها البكر، وتذكرت اليدين اللابنتين، والاصطدام المفاجئ الرهيب، والسكون الشامل، حيث وصلتها رياح التدمير، ثم تذكرت الاضطراب والفوضى في الماء، والتلاقى الغريب الصامت في الدروب العميقة الخضراء بين الأمواج، حيث ترخ القادرون على السباحة إلى أعلى وإلى أسفل، أو اسطلموا الواحد بالآخر كأنهم سدائدات الفلين، ولكن لم يستطيعوا تخاطباً، إذ كانت أصواتهم قد ضاعت تحت صوت المحيط، فبدوا وكأنهم بعضهم لبعض عدو... إذن فهذا هو السر...! هذا هو معنى تينك العيتين الواسعتين، كيمنى تمثال في ضياء الشمس الباهر، ذلك هو المعنى المختفي تحت كلماتها العارضة، السخيفة الجادة معاً: «لن يستطيع ثلث أن ينجو إلى الأبد، إذا كانت كلاب الصيد تطارده». كلا، ولا الإنسان يستطيع النجاة، إذا كانت قطمان الشر والهلاك تصاحب بحبسه وذهابه.

في عصر ذلك اليوم وصلنا ماديرا. فودع المستر روفنى وزوجته. وعلى رغم أنهما كانا مشغولين مع أهل الجزيرة الذين هاجموا يريدون أن يبيعوا لها ما يحملون من الأقشة المطرزة والزهور والنعال والصناديق المصنوعة من خشب النخل، ونماذج العربات التي تجرها الثيران، وملابس سكان الجزيرة - فأنهما لوحا لي بأيديهما إذ غادرت السفينة في زورق إلى البر. ولا حظت مرة أخرى خلوه وجهها من التعبير خلوا عجباً، وذلك شيء إن أنعمت النظر فيه تجلى لك رعب أشد من الرعب. ثم ظننت أنها نظرت إلى البر نظرة التلهف المشتاق، ولكنى كنت أبعد من أن أرى بوضوح... مهما يكن من الأمر فإنهما الآن سالمان، فإن بقية الرحلة، خصوصاً في هذا الوقت من السنة، هادئة في المنطقة الحارة، تتجلى فيها الحداثق العميقة الزرقاء التألقة تحت الميساء، وتقفز الأسماك الطائرة فوقهما كما تثب العصافير فوق أرض البستان.

مضى أسبوعان، قبل أن أقرأ في صحيفة هذا الخبر: «إعصار في المحيط الأطلنطي الجنوبي. أمواج المد تطن على المدن الساحلية. باخرة بريطانية تفرق على مقربة من (ريك). غرق

جميع المسافرين». وفي الحال تذكرت المسر روفنى... إذن قد انتهى الأمر الآن... إنها كانت تنص إلى البحر بكيفية ما... ولا بد أن يستردها البحر إلى أحضانه. لقد كانت تعرف ذلك دائماً، وإن لم يستطع عقلها تصديق ذلك أحياناً. مهما يكن من شيء، فقد انتهى الأمر، كأنها ما كان مغزاه. انتهى طراد طويل، لا يستطيع الرء أن يتعرف على بدايته، أو لعله ليس إلا الفصل الأوسط في درامة تستغرق عدة قرون، أو عدة أحقاب... ساءت نفسى: ترى كيف كانت هيئة ذلك الوجه الجليل في النهاية، وإلى أى حد جعلت سوتها هادئاً عملياً وهي تحدث زوجها للمرة الأخيرة، عارفة ما ينحني لها القدر... ولكن الواقع كثيراً ما يختلف عن النبوءة، وهذا ما حدث في هذه الآونة... فإني عاودت قراءة الصحيفة، فقرأت في أخبار آخر ساعة: «إنقاذ أحد المسافرين. اتفاق غريب... المسر روفنى التي أنقذت عصر أمس في حالة إنهاك، يتحقق أنها أحد الذين نجوا من التيتانيك، حين غرق أخوها التوأم مع تلك السفينة. ويخشى أن المستر روفنى، المشهور في عالم الرياضة، وجميع المسافرين الآخرين والبحارة، قد غرقوا... إذن فالبحر لم يستردها بعد، والصلب قد نجاة مرة أخرى، يا للمسكينة! لم يتم الفصل الأخير بعد.

ملك تعتقد أنني من المؤمنين بالخرافات إذ أشعر بما أشعر الآن؟ ولكن الحياة تبدو أقرب إلى الفهم حين يؤمن الرء بالخرافات... على أية حال، قد حدث ذلك منذ ثلاث عشرة سنة... وأستعذ بالله، إنها فوق هذه السفينة، مسافرة إلى سيلان لتري ابنها. لقد تحدثت إليها هذا الصباح، هي كأنها لم تكبر يوماً واحداً. ولكن ماذا ينبغي أن يفعل المرء: أيجيب غريزة الإيمان بالخرافات أم يتحداها؟... إننى أجب من أن أرتكب مخف مفادرة هذه السفينة في السويس.

توقف عن الحديث، واستغرق في الصمت والتفكير - ولكنى جاهدت حتى نزلت إلى قاع السفينة، متشبهاً بكل ما وقعت عليه يدي حتى لا أفقد توازنى، وهناك أرسلت رسالة برقية.

[من مجلة الأدب والفن الانجليزية] أوسبرت سيتريل

أقصّدوا متحف فؤاد الأول
لسلكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية
أمام مخزن بضائع محطة مصر

لتشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية والجوية في مختلف الأزمان ولتروا أكبر
وأدق مجموعة من النماذج والمخرايط والصور المضاءة لتاريخ النقل في مصر والخارج
المتحف مفتوح للزيارة كل أيام الأسبوع ما عدا أيام الاثنين والعطلات الرسمية كما يأتي :-

فصل الصيف - من أول مايو إلى آخر أكتوبر
من الساعة ١٠ ٨ إلى الساعة ٣٠ ١٣
تليفون رقم : ٤١٩٦٤

فصل الشتاء - من أول نوفمبر إلى آخر إبريل
من الساعة ٣٠ ٨ إلى الساعة ٠٠ ١٤
رسم الدخول ٢٠ ملياً

[طبعت بدار الرسالة بشارع السلطان حسين - هاجدين]